



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-024-001-005

رحلة أحمد بن قاسم الحَجري (ت بعد: 1641م) في كتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين"

**The Journey of Ahmed bin Qasim al-Hajari (d. after: 1641 AD)
in his Book "Nasir al-Din Ala al-Qawm al-Kafirin"**

ط. د/ فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية*

جامعة السلطان قابوس/سلطنة عُمان

f.alhatmi@squ.edu.om

أ. د/ فاطمة بلهاري

جامعة السلطان قابوس/ سلطنة عُمان

fatmabe@squ.edu.om

تاريخ القبول: 2025/05/03

تاريخ الإرسال: 2025/01/06

الملخص:

تعدُّ رحلة "ناصر الدين على القوم الكافرين" لأحمد بن القاسم الحجري من أهم المصادر التي تناولت حياة الموريسكيين، سيما أنَّ الحجري بذاته أحد أبناء هذه الفئة، وممن عاصر أوج الأحداث التاريخية لمحتهم، فدَوَّنَها في رحلته هذه، التي رصدت لنا مُختلف تنقلاته ومشاهداته، فَعَكَّست لنا صورةً حيَّةً عن حياة الموريسكيين في الدول التي هاجروا إليها.

تَكْمُنُ أهمية المقال في تناوله لكتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" لكون صاحبه موريسكيًا وشاهد عيانٍ نَقَلَ صُورًا حَيَّةً عن الموريسكيين في إسبانيا بين عامي 1556-1609م من خلال أبرز مصدرٍ موريسكيٍّ كُتِبَ باللغة العربية بعد طَرْد المسلمين من الأندلس. فرصد الكتاب تحركات الحجري منذ بداية هروبه من الأراضي الإسبانية إلى بلاد المغرب، ثم رحلته السفارية إلى الدول الأوروبية، وصولًا لرحلته للحج وعودته لمصر انتهائها

* ط. د. فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية/ سلطنة عمان.



باستقراره في تونس. لتعكس خطوط تلك الرحلة أهم المناطق التي استقر بها الموريسكيون بعد طردهم من الأراضي الإسبانية، والأوضاع التي واجهوها في تلك البلدان. الكلمات المفتاحية: الحجري؛ الموريسكيون؛ بلاد المغرب؛ إسبانيا؛ رحلة؛ الطرد؛ الدولة السعدية.

Abstract:

Ahmed ibn Qasim Al-Hajari “Nasir al-Din ‘ala al-Qawm al-Kafirin” is one of the most important sources that dealt with the lives of the Moriscos, especially since al-Hajari himself is one of the sons of this group, who lived through the height of the historical events of their plight, so he recorded them in his journey, which recorded his various travels and observations.

The importance of the article lies in its treatment of the book “Nasir al-Din ‘ala al-Qawm al-Kafirin” because its author was a Moriscos and an eyewitness who conveyed vivid images of the Moriscos in Spain between 1556 and 1609 through the most prominent Moriscos source written in Arabic after the expulsion of the Muslims from Andalusia. The book traces al-Hajari's movements from the beginning of his escape from Spain to Morocco, then his travels to European countries, to his journey to the Hajj and his return to Egypt, ending with his settlement in Tunisia. The lines of this journey reflect the most important areas where the Moriscos settled after their expulsion from Spain, and the conditions they faced in those countries.

Keywords: Al-Hajari; Moriscos; Morocco; Spain; journey; expulsion; Saadi Sultanate.

-مقدمة:

استمرّ الوجود العربي والإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا حتى بعد سقوط غرناطة عام 1492م، وعُرفَ المسلمون خلال هذه المرحلة بالموريسكيين، وهم الذين أُجبروا على اعتناق المسيحية، ولكنهم تمسكوا بعقيدتهم الإسلامية، ومارسوا شعائهم الإسلامية سرّاً، وتعرض الموريسكيون فيها لكل أنواع التضييق والاضطهاد والعقوبات الجائرة، وصولاً إلى قرار الطرد النهائي في عام 1609م.



وقد حظي كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" لأحمد بن قاسم الحجري اهتمام العديد من الباحثين العرب، والأجانب، كونه يعدّ من أهم المصادر الموريسكية التي كُتبت باللغة العربية بعد صدور قرار الطرد النهائي عام 1609م.

ويتمحور إشكال الدراسة الحالية في هذا السؤال المحوري: كيف جسّد أحمد بن قاسم الحجري في كتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين" أبعاد الهوية الدينية والسياسية للموريسكيين في المنفى، وكيف استثمر خطاب الرحلة كوسيلة للردّ على الاضطهاد ومحاولة استعادة الاعتبار الحضاري للإسلام والمسلمين في أوروبا؟
ويمكننا أن نصوِّغ هذا الطرح في التساؤلات التالية:

1- هل تمثل رحلة أحمد بن قاسم الحجري شهادة شخصية أم دفاعاً أيديولوجياً عن الجماعة؟

2- كيف يتداخل الذاتي (السيرة الذاتية) بالسياسي والديني في بنية نص الرحلة؟

3- كيف استثمرت المعرفة الجغرافية واللغوية والدبلوماسية في الرحلة لتعزيز "الرسالة الإسلامية"؟

وبناءً على تلك التساؤلات تهدف الدراسة لتحقيق عدة أهداف منها:

- 1- التعريف بأحمد بن قاسم الحجري وكتابه.
- 2- تتبع سرديات الرحلة في إطار السيرة الذاتية لأحمد بن قاسم الحجري وتمازج أحوال جماعة الموريسكيين.
- 3- الكشف عن أوضاع الموريسكيين المطرُودين من إسبانيا في القرن السابع عشر الميلادي في المجتمعات المتوسطة الإسلامية منها والمسيحية.

ولتحقيق أهداف الدراسة تم اعتماد المنهج التاريخي القائم إلى الوصف والتحليل والاستقراء بهدف بناء السِّياق التاريخي للأحداث التي ارتبطت بالقضية الموريسكية من خلال كتاب الحجري. كما تم الاعتماد إلى المنهج المُقَارَن نظراً لما وَقَرَّتُهُ بعض المصادر الأولية من معطيات تاريخية؛ منها العربية، والإسبانية المترجمة على حدٍّ سواء. وتمت الاستعانة بتخرجات بعض الدراسات الحديثة العربية، والأجنبية؛ لأهميتها لموضوع الدراسة.

تنقسم الدراسة إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة: تناول المبحث الأول التعريف بأحمد بن قاسم الحجري وكتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين"؛ أمّا المبحث الثاني فنناقش رحلة أحمد بن قاسم الحجري في كتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين".

1- تعريف أحمد بن قاسم الحجري وكتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين":



1-1- مَوْلُدُ وَنَسَبُ أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمِ الْحَجَرِيِّ: هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ الحَجَرِيِّ الأندلسي؛ وُلِدَ عام 977هـ/ 1569م (الحجري، 2019م: 14) في قرية الحَجَرِ الأحمر أو أحجر (Ugijar)⁽¹⁾ التي يَعْتَقِدُ بعضهم أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عن قرية الحجر قرية من قرى غرناطة (دوبالي، 2021م: 525)، التي يُنَسَبُ إليها "بالحَجَرِيِّ"، بينما يُرَجِّحُ آخَرُونَ كمرسيدس غارتيا أرينال أَنَّهُ يَنَحْدِرُ من قرية أورناتشوس (Hornachos)⁽²⁾، في حين يرى إسماعيل العثماني أَنَّهُ يَنَحْدِرُ من تيبيرادي باروس (Tierra de Barros) التابعة لمقاطعة أكستريما دورا غير البعيدة عن أورناتشوس (السفياني، 2020م: 612)، كما إِنَّ إِيوانو غَيْرَةَ أَثَبَّتَتْ في أطروحتها للماجستير غير المنشورة (2008م) أَنَّ الحَجَرِي كان بالفعل هرناشيًا بناءً على وثائق الربائد (الحجري، 2019م: 11).

يُلَقَّبُ المغاربة بالشَّهَاب، والإسبان بديغيو بيخيرانو (Claire, (Diego Bejerano (267: 2014)، وهذا الاسمُ الموريسكي الذي عُرِفَ به في إسبانيا، وعُرِفَ هذا الاسمُ للمرة الأولى في ترجمته لِرِقِّ برج تربيانة عام 1598م، التي وَقَّعَهَا بِحَظِّ يَدِهِ بِاسْمِ دِيغيو بخرانو، كما وَقَّعَ في رسالة وَجَّهَهَا أَثناء وجودِهِ في باريس إلى الموريسكيين في القسطنطينية (Constantinople) عام 1021هـ/ 1612م، وقد وَقَّعَهَا بهذا الاسمُ أحمد بن قاسم بيخيرانو الأندلسي (Ahmed Ben Qasim Bejarano Andaluz) (الحجري، 2019م: 14)، ولعلَّ هذا اللَّقَبُ هو نسبة لقرية بيخار⁽³⁾؛ لكنَّ من المُرجَّح أَنَّ اسْمَ بخرانو هو اسمٌ مُوثَّقٌ كذلك عند أندلسيِّ هرناشوس، فقد كانتِ العائلات التي تنتمي إلى هذه القرية تحملُ اسْمَ بخرانو (الحجري، 2019م: 15)، كما عُرِفَ بِلَقَبِ "أفوقاي" (El-sayed, 2016: 95)، وأفوقاي هو تحريف أعجمي لأبي القاسم؛ لأنَّ الأندلسيِّين يُكَنُّونَ اسْمُهُ بأبي القاسم، وهو اسمٌ لأسرة أندلسية ما زالت بقاياها موجودة بتطوان يُعَرَّفُ أبنائها بأولاد الفُقَّاي، وقد أَخَذَ الاسمُ صِيغَةً بَرَبْرِيَّةً فَقِيلَ فيه أفقاي وأفوقاي، بينما أشار بعضهم إلى أَنَّ كلمة أفوقاي هي تحريف لكلمة أبوكادو (Abocado)، التي تعني باللغة الإسبانية المحامي؛ وذلك يعود إلى مَهْمَّتِهِ في الدفاع عن الموريسكيين المُتَهَوِّين من قِبَلِ ربانة السفن الفرنسية (الخطيب، 2018م: 14-16).

2-1- نَشَأَتُهُ وَهَجْرَتُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ وَعِلَاقَتُهُ بِالدَّوْلَةِ السَّعُودِيَّةِ: نَشَأَ الحَجَرِي في عصر شَهِدَتْ أَعْدَائُهُ أَوْجَ المِحْنَةِ الموريسكية، هو الرُّبْعُ الأخير من القرن 10هـ/ 16م؛ التي توالَتْ فيه مجموعة من القوانين القَسْرِيَّة التي أُصْدِرَتْ في حَقِّ مُسْلِمِي الأندلس وانْتَهَكَتْ حقوقهم



الدينية والاجتماعية والاقتصادية؛ ما أدّى إلى اندلاع ثورة البشرا ما بين عاميّ 976هـ/ 1568م إلى عام 978هـ/ 1570م، فَنَتَجَ عنها تهجير المسلمين وتشتيتهم من قُرى غرناطة إلى خارجها ومصادرة ممتلكاتهم العقارية، ومُنْعُوا من الاقتراب من المناطق البحرية أو الهجرة خارج البلد بِنِيَّةِ تنصيرهم وتحويلهم لِمُوَاطِنِينَ إسبانيّ مُخْلِصِينَ. كما ضَيَّقَتِ السُّلْطَاتُ الإسبانية الخناق على المسلمين فَتَكَلَّثَ بهم لأتفه الأسباب: في ظِلِّ هذه الظروف نَشَأَ وترعرعَ الحجري، الذي أصبح بدوره آخر بقايا المسلمين في الأندلس الذي حافظَ على لُغَتِهِ العربية وَكَتَبَ بها مِخْنَتَهُمْ. نَشَأَ الحجري في ظِلِّ هذه الظروف نصرانيًّا في الظاهر مُسْلِمًا في السِّرِّ، كما كان يفعل أكثر الأندلسيّين؛ فقد ذَكَرَ مشاركته في القداس وفي ممارسة الغفران (الحجري، 2019م: 14-17).

وَإِذْ كان الحجري هرناشيًّا، فقد نَشَأَ متكلمًا بالعربية: فقد ذَكَرَ اللّغَوِيّيس الأعظم عندما سألَهُ عن معرفتِهِ لِللُّغَةِ العربية: "إِعْلَمَ أَهْلُهَا السَّيِّدُ إِنِّي أُنْدَلِسِيٌّ من الحجر الأحمر وكلامنا فيه فهو بالعربية"، وقرية هرناشوس كما ذكرنا مُسَبِّقًا هي من القرى التابعة لقرية الحجر الأحمر، وكان الأندلسيون يَلْجَأُونَ إلى هرناشوس: نظرًا لموقعها الجغرافي المُتَمَيِّز في الجبال، فقد حافظَ سَكَّانُهَا على اللغة العربية حتى القرن السادس عشر الميلادي، وكانت اللغة العربية يُتَحَدَّثُ بها هناك؛ الأمر الذي جَعَلَ السُّلْطَاتُ الإسبانية في مدريد تُلْفِتُ انتباهها إلى أبناء القرية، وذَكَرَ بيدرو البلنسي في رسالته عن الموريسكيين: "وكذلك إذن، فَإِنَّ الأندلسيّين بمولدهم وطريقة عيشهم كأُهم حُمُرُ الوحش البرّيون. وكُلُّ الأقسام التي تُؤَلَّدُ وتعيش في الجبال؛ تنشأ وتتقوى أكثر، وهؤلاء يعتادون الذهاب إلى الجبال لِيَنْتَقَوْا فيها. وإذا لم يكن ذلك لأجل التَّمَرُّد؛ كان على الأقل هروبًا من العقاب على الجرائم، فَيُرْجَبُ بعضهم ببعض، وَيَخْتَبِئُونَ في الجبال، مثلما نَرَاهُ يَحْدُثُ هنا قريبًا من هرناشوس" (J, 2015: 271-295).

وَتَعَلَّمَ الحجريُّ اللُّغَةَ العربية، ومبادئ الدين الإسلامي على يَدِ والديه سِرًّا، ثم تَعَلَّمَ اللغة العربية بعد ذلك على يَدِ ابْنِ عَمِّ والديه، كما انْكَبَّ على كُتُب العقائد اليهودية والنصرانية واطَّلَعَ على دقائقها (هلايلي، 2015م: 20).

كما تَعَلَّمَ الحجري اللغة الإسبانية خلال سنواتِهِ الأولى نتيجةً لقرارات السُّلْطَاتِ الإسبانية بتعليم أطفال الموريسكيين لِللُّغَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُ زَادَ من تَعَلُّمِهَا حتى يُتَقَرَّها ويتمكَّنَ من الأخذ والعطاء مع الإسبان، وحتى يتمكَّنَ من الهروب بسهولة بين النصارى أَتَقَنَّ اللغة الإسبانية؛ حتى لا يَشْكُوْا في أصلِهِ الأندلسي، فقد كانوا يمنعون الأندلسيّين من الهروب إلى



بلاد المسلمين (الرياش، 2013م: 261)، كما تَعَلَّمَ اللغة البرتغالية كذلك من دُونِ أَنْ يُشِيرَ إلى مكان تَعَلُّمِهِ لهذه اللغة، ثم تَعَلَّمَ القليل من الفرنسية، وبعد أَنْ قَضَى طفولته في قرية الحجر الأحمر اتَّجَهَ إلى غرناطة عام 1004هـ / 1588م، وكان يَبْلُغُ من العُمُرِ ثَمَنَ عشرة سنة (الحجري، 2019م: 23).

إِنَّ الأخبار التي ذَكَرَتْ عن حياة أحمد بن قاسم الحجري حتى عامِهِ الثلاثين في إسبانيا قليلة؛ فقد تَنَقَّلَ الحجري وعاش في بلدانٍ عِدَّةٍ، منها: الهرناشوس، وإشبيلية (Sevilla) التي أشار فيها إلى أشخاص عديدين عَرَفَهُمْ في هذه المدينة منهم رديغو ثمورانو⁽⁴⁾؛ فقد قَرَأَ الحجري عن النصرانية من كُتُب ثمورانو. كما قَرَأَ كُتُبًا في تاريخ الكنيسة، والجغرافيا، والفلك، ومكثَ مُدَّةً من الزمن في مدريد عام 1006هـ / 1598م عندما كان والدُهُ يعيش هناك (Nutting E. W., 2014: 196)؛ إذ أشار إلى مُكُوثِهِ في هذه المدينة في بعض رسائله، بالإضافة أَنَّهُ قَضَى وقْتًا في غرناطة قبل أَنْ يُغَادِرَ إسبانية سِرًّا عام 1007هـ / 1598م (Nutting E., 2014م: 187)، وفيها التقى بالشيخ الفقيه الأكييل الأندلسي⁽⁵⁾ "شيخ الترجمة بالإجازة"، ونظرًا لمعرفته باللغة العربية اختارَهُ القسيس الأعظم⁽⁶⁾ ضَمَّنَ الفريق الذي تَرَجَّمَ الكُتُبَ الرصاصية عام 1005هـ / 1597م، ومُنِحَ بعد ذلك إِذْنًا بالترجمة من العربية إلى العجمية والعكس (الحجري، 2015م: 18)، ومع الامتيازات التي حصلَ عليها الحجري إِلَّا أَنَّهُ اختارَ الهَرَبَ إلى بلاد المسلمين فِرَارًا بِدِينِهِ، فهِرَبَ بعدها من غرناطة إلى إشبيلية عام 1007هـ / 1598م، ثم إلى مرسى سنتا ماريا (Santa Maria)، ومنها إلى بلاد المغرب (الحجري، 2019م: 83) (دي إيبلثا، 2005م: 190).

لم تُبَيِّنِ المصادرُ إلى المهنة التي مارسَهَا أحمد بن قاسم الحجري قبل هجرته من إسبانيا؛ باستثناء ما ذَكَرَهُ بنفسِهِ عن عمله في المشاركة في ترجمة الكتب الرصاصية، وبعد وصوله إلى بلاد المغرب عَمِلَ مُتَرَجِّمًا في الدولة السعدية منذ عهدِ السُّلْطَانِ أحمد المنصور (1578-1603م) حتى عهد مولاي زيدان (1603-1627م)، ثم عهد ابْنَيْهِ عبد الملك والوليد (ساعف، 1991م: 105) من عام 1007هـ / 1598م حتى عام 1046هـ / 1636م، وخلال هذه المدة تَوَلَّى السفارة المغربية إلى فرنسا كما زارَ بلدانًا عِدَّةً منها هولندا (الحجري، 2019م: 163). وكان المُستعَرِبُ الهولندي توماس إربينوس (Thomas Erpenius)⁽⁷⁾ عندما وَصَفَ أحمدَ الحَجَرِيَّ بالتاجر لم يكن يَقْصِدُ هنا أَنَّهُ كان تاجرًا حَقًّا؛ لكنْ بالأحرى أَنَّهُ مَيْسَمٌ اجتماعي، ولم يكن هذا الرجل نبيلًا ولا جنديًا ولا رجلَ دين (A, 2016: 143-168).



ذَكَرَ الحِجْرِي فِي كِتَابِهِ "نَاصِرُ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" الْقَلِيلَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَسْرَتِهِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى يَدِ وَالِدَيْهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، كَمَا تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَهُوَ فِي سِنِّ الْعَاشِرَةِ عَلَى يَدِ ابْنِ عَمِّهِ وَالِدِهِ سِرًّا، وَلَهُ أُخْتُ ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ هَذَا فِي أَحَدِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي قَصَّهَا أَثْنَاءَ تَعَلُّمِهِ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَكَرَ وَالِدَيْهِ فِي دَعَاءٍ فِي دِيبَاجَةِ كِتَابِ "نَاصِرُ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" وَفِي خَاتَمَتِهِ؛ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْإِشَارَاتُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي تَحَدَّثُ بِهَا عَنْ عَائِلَتِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى اسْمَيْهِ وَالِدَيْهِ وَأُخْتِهِ (الحِجْرِي، 2019م: 194).

بعد وصوله إلى بلاد المغرب بمدة تَرْوَجُ الحِجْرِي مِنْ ابْنَةِ الْبَرْطَالِ الْغَرْنَاتِيِّ (8) (El Partal)؛ أَحَدِ قَادَةِ ثَوْرَةِ الْبَشَرَاتِ وَكَانَ عُمُرُهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ عَامًا، وَلَهُ مِنْهَا وَلَدَانِ وَبَنَاتَانِ (الحِجْرِي، 2015م: 155)، وَيُعْرَفُ أَحَدُ أَبْنَائِهِ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ خَوْجَةَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ نَاسِخُ التَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي أَنْجَزَهَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمِ الْحِجْرِي لِكِتَابِ "الْعِزِّ وَالْمَنَافِعِ" (الرِّيَاش، 2013م: 126)، أَمَّا أَبْنَاؤُهُ الْآخَرُونَ فَلَمْ يَرِدْ ذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ.

اسْتَقَرَّ الْحِجْرِيُّ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ فِي تُونُسَ، وَمِنْ الْمُرَجَّحِ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي مَدِينَةِ تَسْتُور (Testur) أَوْ تَسْتَرُ فِهْنَاكَ يَسْكُنُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ خَوْجَةَ وَزَوْجَتُهُ، وَتُعَدُّ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنْ أَهَمِّ الْمُدُنِ الَّتِي بَنَاهَا الْمَوْرِيسْكِيُّونَ فِي تُونُسَ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ بَعْدَ إِمْتَامِهِ النُّسخَةَ التُّونُسِيَّةَ لِمَخْطُوطِ "نَاصِرُ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" عَامَ 1051هـ / 1641م (الحِجْرِي، 2015م: 21)، وَمِنْ الْمُرَجَّحِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ.

1-3- كِتَابُ "نَاصِرُ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ": الْكِتَابُ مُخْتَصَرٌ لِرَحْلَةٍ مِنْ نَوْعِ الرِّحَالَتِ السَّفَرِيَّةِ أَوْ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ؛ قَامَ بِهَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمِ سَفَارَةً عَنِ السُّلْطَانِ الْمَغْرِبِيِّ مَوْلَايَ زَيْدَانَ إِلَى فَرَنْسَا، وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْهَا هُوَ اسْتِرْجَاعُ حَقُوقِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الْمُنْهَوْبِينَ عَلَى يَدِ الْبَحَارَةِ الْفَرَنْسِيِّينَ فِي طُرُقِ هَجْرَتِهِمْ مِنْ إِسْبَانِيَا إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَتَدَخَّلَ الرِّحْلَةُ ضِمْنَ السَّيْرَةِ الذَّاتِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤَلَّفَ وَالرَّوَايَ وَالرَّحَالَهَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، سَجَّلَ فِيهَا حَوَادِثَ كَثِيرَةً جَرَتْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَهَرُوبِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ، ثُمَّ سَفَارَتِهِ إِلَى فَرَنْسَا، وَزِيَارَتِهِ هَوْلَنْدَا، ثُمَّ رَجُوعِهِ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَرَحْلَتِهِ إِلَى الْحَجِّ، ثُمَّ مَرُورِهِ بِمِصْرَ، وَتَنْتَهِي رَحْلَتُهُ فِي تُونُسَ (السَّفِيَانِي، 2020م: 626)، وَلَكُونِ الْحِجْرِي مَوْسُوعِيًّا عَالِمًا، وَمُخَاوِرًا دِينِيًّا؛ أَثَّرَ ذَلِكَ فِي أَسْلُوبِهِ فِي كِتَابَةِ الرِّحْلَةِ، مَا جَعَلَهَا لَا تَمِيلُ كَثِيرًا إِلَى الطَّابَعِ الرَّسْمِيِّ فِي الرِّحَالَتِ السَّفَرِيَّةِ؛ فَالرِّحْلَةُ جَمَعَتْ بَيْنَ الرِّحَالَتِ السَّفَرِيَّةِ وَالسَّيْرَةِ الذَّاتِيَّةِ فِي نَتَاجِ أَدَبِيٍّ وَاحِدٍ، كَمَا إِنَّ "رَحْلَةَ نَاصِرِ الدِّينِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" لَمْ تَتِمَّ كِتَابَتُهَا بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ سُلْطَانِيَّةٍ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ؛ إِنَّمَا بَطَّلَبَ شَخْصِيٍّ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَجْهَوْرِيِّ الَّذِي طَلَبَ مِنْ



الحجري تدوين مناظراته الدينية مع النصاري واليهود، ما جَعَلَ أغلب نصوص الرحلة ذات طابع ديني وشخصي أكثر من كونها ذات طابع رسمي (مسعود، 2020م: 281).

اكتُشِفَتْ نسخة كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" للمرة الأولى عام 1964م في دار الكتب المصرية على يد الباحثة كليلا سرنيلي سركوا (C.Sarnelli, 2016: 95) (El-sayed, Cercua)، ثم عَمِلَتْ على نَشْرِ مقالاتٍ عِدَّةٍ عَرِفَتْ من خلالها بالمخطوط، وترجمت أجزاء منه إلى اللغة الإيطالية. ثم ترجمت الرحلة إلى الإنجليزية، وصَدَرَتْ عام 1997م وقام بتحقيقه قاسم السامرائي وفان كوندسفيلد وخيرارد فيخرس (السعيد، 2014م: 281)، ويوضِّحُ الجدول أدناه مقارنةً بين النُسخَتَيْنِ التُونُسِيَّةِ والمِصْرِيَّةِ لكتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"⁰:

النسخة التونسية	النسخة المصرية	وجهُ المقارنة
عام 1051هـ / 1641م	عام 1047هـ / 1637م	تاريخ الكتابة
تونس	مصر	مكان الكتابة
أحمد خوجة ابن الفقيه أحمد ابن قاسم الحجري	شيخ الأزهر حسن محمد عطار؛ نَقَلَهَا مباشرة عن النسخة التي كَتَبَهَا الحجري للشيخ الأجهوري.	اسم النَّاسِخ
دار الكتب بالقاهرة	مكتبة جامع الأزهر الشريف بالقاهرة	مكان حفظ المخطوط
رقم 1634ت	رقم 307014	رقم المخطوط في المكتبات
مَقْدِمَةٌ وثلاثة عشر بابًا؛ بالإضافة للملحق عَنَوْنُهُ المُوَلَّفُ "مواهب الثواب"	مَقْدِمَةٌ وثلاثة عشر بابًا؛ مع وجود نقص في الفقرة الأخيرة من الباب السادس، والأبواب السابع، والثامن والتاسع بأكملها، وأوراق من الباب العاشر.	أبواب الكتاب

الجدول من عمل الباحثة يوضح الفرق بين النسختين التونسية والمصرية المعتمدتين في الدراسة وهناك في باريس قطعة من مُخْتَصَر الرحلة تُوجَدُ في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 7024، وهذه النسخة خالية من اسمِ الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه؛ غير أنَّ هناك إشارة وردت في الصفحة 59 عند الحديث عن العالم المصري الشيخ علي الأجهوري، ما يَدُلُّ على أنَّها كُتِبَتْ بعد وفاة العالم المصري المذكور 1066هـ / 1656م أي بعد نُسخة القاهرة؛ وتتكون هذه النسخة من 73 صفحة كُتِبَتْ بعد سنة 1655م، وتضمُّ الأبواب من العاشر إلى الثالث عشر (طعام، 2013م: 101).

2-رحلة أحمد بن قاسم الحجري في كتابه "ناصر الدين على القوم الكافرين".
1-2-خط سير رحلته من إسبانيا إلى بلاد المغرب: غرناطة-إشبيلية-شنت مريا-البريجة-أزمور-مراكش: هاجرت أعداد كبيرة من الموريسكيين إلى بلاد المغرب، واستقرت أعداد كبيرة منهم بقصبة سلا حتى أصبحت تُعرفُ بقصبة الأندلس، وازدادت الهجرة الموريسكية إلى هذه الوجهة بين عامي 1609-1614م، وإنَّ عددًا كبيرًا منهم تَسَلَّلُوا المدن الساحلية؛ التي كان البعض منها خاضعة للاحتلال الإسباني والبرتغالي، ومنها تَوَرَّعَ هؤلاء في المَدُن والأرياف المغربية؛ إِلَّا أَنَّ غَالِبِيَّهم استقرَّ في مدينة تطوان وسلا التي بَنُوا فيها القصور والحَمَّامات وفق ما ذَكَرَهُ الناصري في كتابه "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى". كما في قوله: "... وكذلك خَرَجَ طوائف منهم بتطوان وسلا والجزائر، ولَمَّا استخدمَ سُلطانُ المغرب الأقصى منهم عسكريًا جَرَّارًا وَسَكَنُوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن، وَحَصَّنُوا قلعة سلا وَبَنُوا بها القصور والحَمَّامات والدُّور" (الناصرى، 1997م:12).



الخريطة من عمل الباحثة توضح خط سير رحلة هروب الحجري من إسبانيا للمغرب عام 1598م

هاجر الحجري من إسبانيا إلى بلاد المغرب عام 1007هـ / 1598م؛ فقد انطلقت رحلته من إشبيلية ليتجنَّب الأوامر التي كانت تَصُدُّرُ في حقِّ الموريسكيين بعدم الهجرة، ثم سافر عبر مرسى شنتمرية (سانتا ماريا) Santa Maria على مَتْنِ سفينة مَحْمَلَة بالقمح مُتَّجِهَةً إلى ميناء مدينة البريجة؛ وهي مُستعمرة برتغالية كانت تُسَمَّى أيضًا (مازكان)، وَمَكَثَ



مدة ينتظر فرصة الهروب إلى أن تَسَى له ذلك؛ فَتَوَجَّهَ إلى داخل المغرب الأقصى، ودخل مدينة أزمو (Azemmour)، وقد رَوَى الحجري وصوله إلى مدينة أزمو والمعاملة الحسنة التي تلقاها من أهلها بعد معرفتهم بإسلامه؛ فقد رَوَى الحجري ذلك قائلاً: "عندما وصلنا إلى بوكالة في سوق قريب من أزمو جاء المسلمون يسألون خادم قائد المدينة والذي كان يرافقني هل أنا مُسلم؟ فأجابهم نعم، رغم هيأتي الإسبانية. فأحاطوا بي وأخذوا يُلْحُون عليّ بأن أنطق بالشهادتين وفي النهاية فعلت، فقالوا: والله إنَّه يَنْطِقُهَا بطلاقة أحسن مِنَّا. ثم أتوا بالتَّمَر وببعض المنتوجات التي تُباع في السوق مع بعض النقود الفضية. فقلتُ لهم: أنا لا أحتاج من هذا شيئاً. ولمَّا استقبلني قائد أزمو سألني عن رأيي في استقبال المغاربة لي فأجبتُه: أَحْمَدُ الله أَنِّي لم أَجِدْ عَدُوًّا بين هؤلاء الناس. ففي بلاد النَّصارى لا نَجِدُ في الأسواق إِلَّا الأعداء، ولا نَجْزُو على القيام بشعائرتنا أو نبوح بعقيدتنا، بينما المسلمون هنا هم الذين دفعوني للقيام بها، ولمَّا سَمِعُونِي فَرَحُوا بذلك" (الحجري، 2019م: 88)، بعدها رافق الحجري قائد أزمو محمد بن إبراهيم السفيني؛ الذي كتب له السُّلطان أحمد المنصور الحضور لعيد الأضحى؛ فقد كان السُّلطان يُعَسِّكُ بالقرب من مدينة أزمو ويتابع استعراضاً عسكرياً للجيش، وصَلَ الحجري برفقة قائد أزمو إلى محلَّة سُلطان المغرب في سنة يُؤرِّخها الحجري أنَّها سنَّة وِباءٍ، وقد كان هذا الوباء عام 1007هـ/ 1598م، وبعد مدة وجيزة اسْتُقْبِلَ الحجري من طَرَفِ السُّلطان الذي أثنى عليه لمعرفته التامة لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِيُعَيِّنَهُ بعد ذلك تُرْجَمَانًا بالبلاط الملكي (قشتيلو، 2001م: 35-36)؛ استوطن بعدها الحجري في مدينة مراكش وتزوَّج من ابنة البرتغال؛ رئيس الطائفة الأندلسية هناك، وأنجب منها ولدَيْن وبنْتَيْن، وامتدَّت إقامته بمراكش من أواخر عام 1007هـ/ 1598م حتى عام 1046هـ/ 1636م، وخلال هذه المدة عمِلَ تُرْجَمَانًا لدى السُّلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي، وكان كاتبه باللسان الأعجمي الإسباني، ثم قام بالترجمة لولده عبد الملك (1627-1630م) ثم أخيه الوليد بن زيدان (1627-1635م) (الحجري، 2019م: 90) (السفيني، 2020م: 617).

وفي السياق ذاته نقل الحجري صورة حية عن استقبال المغاربة للموريسكيين قبل الطَّرْد في حادثة استقباله هو شخصياً في مدينة أزمو المغربية؛ حيث استقبلهم قائدها محمد بن إبراهيم السفيني، وبَعَثَ في خبرهما إلى السُّلطان أحمد المنصور الذي رَغِبَ في لقاءهما؛ يقول الحجري: "... ثم بَلَّغْنَا إلى أزمو فأقبل علينا قائدها وَبَحَثْنَا كثيراً في أمور دين المسلمين وقال لي اكتب بالعربية، قلتُ له: نعم، قال اكتب في هذه الورقة؛ قلتُ له ماذا



أكتب، قال: الذي تُجِبُّ؛ فَكَتَبَ ما الهمني الله تعالى وشكرته على قضاء الحاجة وخلصنا من الكفار ودعوت بالخير للقائد محمد ابن إبراهيم السفيناني على ما احسن إلينا؛ وقَبَضَ الورقة؛ واطنُّ أَنَّهُ بَعَثَهَا لِلسُّلْطَانِ مَوْلَايَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ. وَكَتَبَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْشِيَ لِحَضْرَتِهِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى وَأَنْ يَحْمِلَنَا مَعَهُ. فَلَمَّا أَنْ بَلَّغْنَا فِي دِكَاةٍ إِلَى سَوْقٍ كَبِيرٍ أَمَرَ الْقَائِدُ لَخْدِيمِهِ أَنْ يَرْكَبَ مَعِيَ إِلَى السَّوْقِ؛ فَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا فِيهِ جَاءَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَلُونَ الْخَدِيمَ عَنِّي قَالَ لَهُمْ: هُوَ مُسْلِمٌ فَجَاؤُنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يَقُولُونَ لِي: شَهِدْ وَأَنَا سَاكِتٌ؛ حَتَّى الْخَوَا عَلَيَّ وَكَثُرُوا فِي ذَلِكَ؛ قُلْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالُوا وَاللَّهِ أَنَّهُ قَالَهَا خَيْرٌ مِنَّا. ثُمَّ مَشَوْا وَأَتَوْنِي بِتَمَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يَبِيعُونَهُ وَفِضَّهَ دِرَاهِمًا. قُلْتُ لَهُمْ: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ" (الحجري، 2019م: 88).

فمن خلال هذا النَّصِّ يَتَضَحُّ لَنَا حُسْنُ اسْتِقْبَالِ قَائِدِ الْمَدِينَةِ لِلْحَجَرِيِّ وَصَاحِبِهِ بَعْدَمَا أَثْبَتَا صِدْقَ انْتِمَائِهِمُ اللَّغَوِيَّ وَالِدِينِيَّ، وَالْمُسَاعَدَاتِ الَّتِي قَدِمَتْ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَهَالِي الْمَدِينَةِ. كَمَا يَتَضَحُّ لَنَا الصَّعُوبَاتُ الَّتِي كَانَتْ تُوَاكِجُهُ الْمُورِيسْكِيِّينَ أَثْنَاءَ هَجْرَتِهِمْ لِلْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَبِسَبَبِ طَبِيعَةِ مَظْهَرِهِمُ الْإِسْبَانِيَّ؛ كَانَ الْمَغَارِبَةُ يَشْكُونُ فِي مَدَى صِحَّةِ انْتِمَائِهِمْ لِلْأَنْدَلُسِيِّينَ لِذَا كَانُوا يَسَارِعُونَ إِلَى إِعْلَانِ هُوِيَّتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي بِدَوْرِهَا تُؤَكِّدُ صِحَّةَ انْتِمَائِهِمُ لِلْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ خِلَالِ نُطْقِهِمُ لِلشَّهَادَةِ؛ مَا يَجْعَلُهُمْ يَشْعُرُونَ بِالتَّضَامُنِ وَالْإِنْتِمَاءِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى إِنَّ إِشَارَةَ الْحَجَرِيِّ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْكِتَابَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَثْنَاءَ طَلَبِ قَائِدِ أَرْمُورٍ مِنْهُ ذَلِكَ؛ يَدُلُّ عَلَى افْتِخَارِهِ وَمَدْحِ الْحَجَرِيِّ بِنَفْسِهِ، وَإِثْبَاتِهِ لِلطَّرْفِ الْآخَرِ أَنَّ الْمُورِيسْكِيِّينَ لَا يَزَالُونَ يَحْتَفِظُونَ بِقَدْرَاتِهِمُ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُهُمْ مِنْ مُمَارَسَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِكُلِّ طَلَاقَةٍ؛ وَهَذَا مُؤَشِّرٌ آخَرٌ لَصَدَقِ انْتِمَائِهِمُ اللَّغَوِيَّ وَالِدِينِيَّ لِلْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي بُلْدَانِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ (دي إيبالثا، 2005م: 92).

وَيَصِفُ الْحَجَرِيُّ الْاسْتِقْبَالَ الَّذِي لَقِيَهُ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ الْمَنْصُورِ: "أَنَّهُ لَمَّا بَلَّغْنَا إِلَى مَحَلَّةِ السُّلْطَانِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ ابْنَ مَوْلَايَ مُحَمَّدَ الشَّيْخَ الشَّرِيفَ الْحَسَنِيَّ... وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَحَلَّةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ سَبْعَةِ وَأَلْفٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَأَذِنَ لَنَا فِي الدُّخُولِ إِلَى حَضْرَتِهِ فِي يَوْمِ الدِّوَانِ، وَلَمَّا ابْتَدَأْتُ بِالْكَلامِ الَّذِي اخْتَرْتُهُ أَنْ أَقُولَهُ بِحَضْرَتِهِ الْعَالِيَةِ بِصَوْتِ جَهِيرٍ سَكَتَ جَمِيعُ النَّاسِ الْحَاضِرِينَ كَأَنَّهُمْ خُطِبُوا. فَفَرَحَ السُّلْطَانُ وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ يَقُولُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ كَلَامُ الْفُقَهَاءِ، وَفَرَحَ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ الْأَنْدَلُسِ الْقَدَمَاءُ، وَرَأَيْنَا الْعَافِيَةَ وَالرِّخَاءَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى أَنْ مَاتَ مَوْلَايَ أَحْمَدُ... فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ مِنْ



سنة اثني عشرة وألف. وقامت القوام والهرج في المغرب كله" (الحجري، 2019م: 89-90)؛ فمن خلال نصّ الحجري نستنتج التالي:

أ. اهتمام السلطان أحمد المنصور بالمهاجرين الأندلسيين الوافدين على المغرب، وكانت لهم مكانة كبيرة لدى المنصور خاصة العلماء والفقهاء؛ فقد قام بتوظيف الحجري في البلاط السعدي.

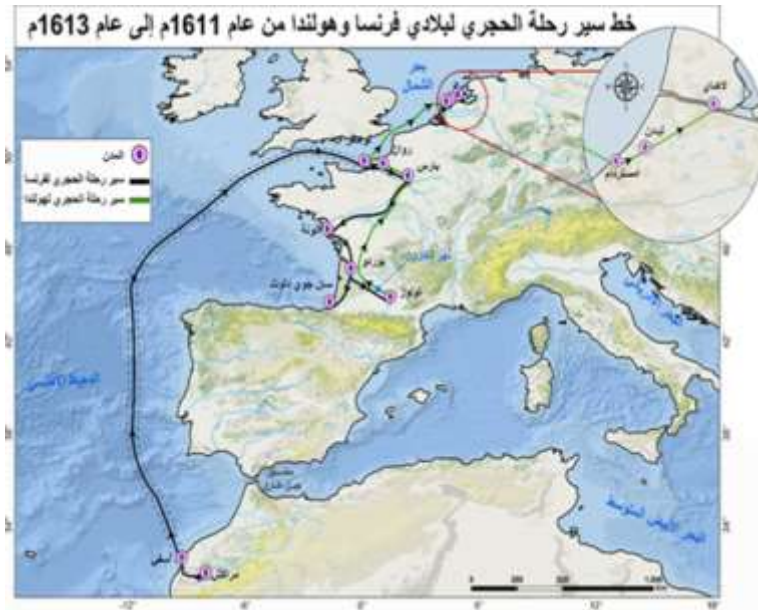
ب. وجود عدد من المهاجرين الأندلسيين في مجلس أوديان السلطان أحمد المنصور، "وَفَرِحَ بِذَلِكَ كَأَفَّةِ الْأَنْدَلُسِ الْقَدَمَاءَ"، وإنّ هذا الوجود الكبير من الأندلسيين لدى السلطان السعدي يوضح أنّهم كانوا يؤيدونه ويؤيدونه؛ فنالوا شرف حضور مجالسه.

ت. تمتع المهاجرين الأندلسيين بالأمان والاهتمام والحرية طيلة مدة حكم أحمد المنصور، "ورأينا العافية والرخاء في تلك البلاد إلى أن مات المنصور".

كما أشاد الحجري في رسالته إلى الموريسكيين في القسطنطينية إلى حُسن استقبالهم بلاد المغرب، سواء من قِبَلِ السُّلْطَةِ الحاكمة أم من قِبَلِ الأهالي؛ يقول: "... في الحقول عَامَلَهُمُ المسلمون معاملَةً جَيِّدَةً جَدًّا، وَأَعْطَوْهُمْ الْعَدِيدَ مِنَ الصَّدَقَاتِ، كَذَلِكَ وَهَبَهُمْ مَلِكُ الْمَغْرِبِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دَوَكَادُوسَ، وَأَعْطَاهُمْ تَجَارُ الْمَدِينَةِ وَأَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ، وَاسْتَقْبَلُوا عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ" (الحجري، 2015م: 158). وفي المقابل واجهت الموريسكيين العديد من الصعوبات أثناء دخولهم لبلاد المغرب، منها نَهْبُ الأعراب؛ يقول الحجري في الرسالة نفسها: "... أَمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ فِي مَمْلَكَةِ فَاسَ وَمَرَكَشَ، فَقَدْ خَرَجَ إِلَى تَطَوَانِ وَالْمَوَانِيِ الْمُحِيطَةِ نَحْوَ سِتُّونَ أَلْفَ شَخْصٍ؛ وَإِلَى مَرَكَشَ. عَانُوا فِي هَاتَيْنِ الْمَمْلَكَتَيْنِ مِنْ نَهْبِ الْأَعْرَابِ وَالْحُرُوبِ الْأَهْلِيَّةِ" (الحجري، 2015م: 157)، وهو الأمر ذاته وَقَعَ على الحجري أثناء قدومه لبلاد المغرب بعد هجرته من إسبانيا؛ يقول في كتابه "ناصر الدين": "وتذكرتُ إلى كُتُبٍ سُرِقَتْ لِي بِمَرَكَشَ مِمَّا كُتِبَتْ بِيَدِي فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِقَرَبِ الْعَهْدِ الَّذِي جِئْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ" (الحجري، 2019م: 200).

وعليه، نُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْهَجْرَةَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ اسْتَمَرَّتْ بِالتَّدْفُقِ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ خِلَالَ الْعَهْدِ السَّعْدِيِّ الْأَوَّلِ، وَتَعَامَلَ مَعَهُمْ سُلَاطِينُ الدَّوْلَةِ السَّعْدِيَّةِ بِحَذَرٍ؛ نَتِيجَةً لِلضَّغْطِ الْعُثْمَانِيِّ، فَقَدْ كَانَ السَّعْدِيُّونَ يَحَاوِلُونَ بِاسْتِمْرَارٍ دَمَجَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الْمُهْجَرِينَ فِي الْمَشْرُوعَاتِ الْجِهَادِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهَا السِّيَاسِيَّةِ، لَكِنَّ اسْتِمْرَارَ الْإِتِّصَالَاتِ بَيْنَ الْعُثْمَانِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي الْمَغْرِبِ تَحَوَّلَ دُونَ تَحْقِيقِ تِلْكَ الْمَشْرُوعَاتِ؛ بَلْ تَحَوَّلَ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ مِنْ دُونِ تَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَةِ لِلْمُورِسْكِيِّينَ فِي إِسْبَانِيَا، وَفِي الْمَقَابِلِ فَتَحَ السَّعْدِيُّونَ لِلْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي الْمَغْرِبِ

2-2- خط سير رحلته من بلاد المغرب إلى أوربا: مراکش-آسفي-هبرذاغرسى (مرسى البركة): لوهافر (Lo Hover)، روان، باريس، بوردو، باريس، سان جوي دلوث، شاندينشي (Saint-Denis)، ألونة، بوردو، تولوز، بوردو، باريس، روان، لوهافر⁰:



قام الحجري بسفارة إلى فرنسا عام 1020هـ/ 1611م؛ كُلفَ بها من قِبَل مولاي زيدان من أجل النظر في قضية الموريسكيّين المتَّوْبِينَ من قِبَل ربابنة السفن الفرنسية؛ فقد وقعت لهم سرقة بأربعة مراكب فرنسية نَقَلَتْهُمْ من إسبانيا، فَرَوَّدَهُ السُّلْطَان برسالتَيْن: رسالة إلى رئيس الجالية الأندلسية أو قاضي الأندلسيّين (الحجري، 2019م: 95)، ورسالة أخرى إلى رئيس القضاة بمدينة بوردو الفرنسية، فانطلقت رحلةُ الحجري من مراكش ثم رَكِبَ على مَتْنِ سفينة انطلقت من ميناء مدينة أسفي مُتَّجِهَةً إلى ميناء مدينة لوهافر الفرنسية، ومنها تَوَجَّهَ الحجري إلى باريس، وبعد ذلك تَجَوَّلَ في مناطقٍ عِدَّةٍ في فرنسا؛ منها: لوهافر (Lo Hover)، وروان (Rouen)، وألونة (Olonne)، وبوردو (Bordeaux)، وسان جوي دلوث (Saint-Jean-de Luz)، وتولوز (Toulouse)؛ ليعودَ بعدها إلى مدينة باريس في 13 مايو عام 1612م، فقد وافقَ ذلك اليومُ المولَدَ النبوي الشريف (قشتيلو، 2001م:



(37)، وبعد قضاء مَهْمَتِهِ في فرنسا أُبحَرَ إلى هولندا ودخلَ أمستردام (Amsterdam)، وليدن (Leiden)، ثم تَوَجَّهَ إلى لاهاي، واتَّصَلَ بِأَمِيرِهَا مَوريس دي ناسو (Maurice de Nassau) (1584-1625م)؛ فطلبَ منه هذا الأميرُ أَنْ يُفَصِّلَ لَهُ الكلامَ على طَرِيقِ الإسبان للمسلمين من الأندلس، فأجابَهُ لطلبِهِ، وفي كُلِّ من فرنسا وهولندا جَرَتْ لَهُ مناظرات دينية عِدَّةٌ مع القساوسة والرُّهبان، وأحبار اليهود، وكان الحجري يَرُدُّ في مناظراتِهِ باستخدام العديد من الحُجَجِ الدامغة من كُتُبِهِم السماوية؛ التوراة والإنجيل، وقد دَرَسَ ترجمَتَهُما في أوروبا لهذه الغاية، واستعملها في مناظراتِهِ، وانتهت هذه السفارة عام 1022هـ/ 1613م (رزوق، 1987م: 269) (مسعود، 2020م: 273) (EL-sayed, 2016: 52).

انطلقت سفارة الحجري من آسفي عام 1020هـ/ 1611م، برفقة خمسةٍ من الأندلسيين المُسَطَّوِّعِهم، ونعلمُ اسْمَيْ اثْنَيْنِ من رفاقِهِ؛ هُمَا: جاك فرنديث الإشبيلي، وهرني غرسية اللوغي (Toomer, 1996:44)، وبعد ثلاثين يوماً وَصَلَ ميناءَ لوهافر الفرنسي، ثم تَوَجَّهَ إلى مدينة روان؛ فالتقى بالسيد كارت، وهو مَسِيحِيٌّ عَرَفَهُ الحجري في المغرب الأقصى سابقاً. كما التقى بالقاضي الأكبر للمدينة، ثم اتَّجَهَ بعد ذلك نحو مدينة باريس؛ فَقَدَّمَ للمجلس الملكي (الديوان السُلْطاني) المسألة التي جاء من أجلها، ثم سُلِّمَتْ إليه رسائلُ الملك المُوجَّهَة إلى القضاة التي أُعْطِيَ أَسْمَاؤُهُمْ وكذلك إلى قاضي الأندلس؛ قال الحجري: "وقد رَفَعْنَا أَمْرَنَا الذي ذَكَرْنَا جُنْناً بسببِهِ إلى تلك البلاد إلى الديوان السُلْطاني وأعطوا كُتُبَ السُلْطان للقضاة الذين ذَكَرْنَا لهم وأيضاً لقاضي الأندلس؛ وذلك أَنَّ في ديوانهم وَجَّهُوا قاضياً نصراني منهم إليهم" (الحجري، 2019م: 95). كما التقى في باريس بالطبيب والمستشرق إيتان هوبرت، وعَرَفَهُ الأخيرُ بِأحدِ تلاميذِهِ هو توماس اربينيوس

(Loop, 2017:26)؛ الذي سوف يلتقي به الحجري مرة أخرى في لايدن بهولندا، ووَعَدَ هوبرت الحجريَّ بمساعدتِهِ في أداء مَهْمَتِهِ شَرْطاً أَنْ يُقْرَأَ معه عدداً من النصوص العربية التي يمتلكها (Kontzi, 1996:410)؛ ذَكَرَ الحجري: "وألتقيتُ في تلك المدينة برجلٍ من علمائهم كان يقرأ بالعربية؛ وبعض النصارى يَفْرءون عليه. وكان يُسَمَّى بأبرت. وقال لي أنا أخدمُك فيما تحتاجني لِأُكَلِّمَ لك من كبراء الناس وغير ذلك؛ وما نُحِبُّ منك إِلَّا نقرأ عليك في الكُتُبِ التي عندي بالعربية وَتَبَيَّنَ لي فيها شيئاً ممَّا فيها" (الحجري، 2019م: 96)، وبعد ذلك تَحَوَّلَ الحجري إلى مدينة بوردو، وسان جوي دلوث ليلتقي بقاضي الأندلسيين، وكان ذلك عام 1020هـ/ 1612م. كما التقى بشخصٍ اسْمُهُ كالس، الذي أخبرَ الحجريَّ عن أعداد المطرُودين وتَوَجَّهَهُم لتونس فَأَحْسَنَ استقبالَهُم كُلُّ من الداوي عثمان والوَلِي أبو الغيث



القشاش، ثم تَوَجَّهَ الحجري إلى باريس مصحوبًا بالقاضي الأندلسي، واستكملًا لِمَهْمَّتِهِ تَحَوَّلَ إلى مدينة ألونه، ثم إلى مدينة بوردو وهناك التقى قساوسةً وقاضيًا مُسِنًا جَادَلْ وخاضَ معهم مناقشات بشأن العديد من المسائل الدينية، وبعد ذلك زارَ الحجريُّ مدينة تولوز عن طريق سفينة صغيرة عَبَّرَ بها نهرَ القارون، ولدى رُجُوعِهِ إلى باريس (الحجري، 2019م: 113-163)؛ تَعَرَّفَ على أشهر مُنَجِّمِي العصر، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ، وكان من تلاميذ الفقيه أحمد المصيوب الفاسي، وأثناء وجودِهِ بباريس؛ قَدِمَتْ إِلَيْهِ سَيِّدَتَانِ تُرْكِيَّتَانِ تنتميانِ إلى إحدى العائلات الكبيرة بإستانبول وقد أُسْرَتَا أثناء تحوُّلِهِمَا لأداء فريضة الحج، وقد جُلِبَتْ بِادئِ الأمرِ إلى البندقية، ثم قام سفير فرنسا بإرسالِهِمَا إلى ملكة فرنسا ماري دي ميديشي (Marie de Medicis) (1610-1614م)؛ فَقَدِ اشْتَغَلَتَا عِنْدَهَا خِيَّاطَتَيْنِ مِمْتَازَتَيْنِ، وقد رَجَعَا من الحجري مساعدتُهُمَا في الرجوع إلى أهْلِهِمَا وقد وَعَدَهُمَا بالاهتمام بوضعِيَّتِهِمَا. وبالفعل فقد نَجَحَ في إرسالِهِمَا إلى هولندا ومنها تَمَكَّنَتَا من الإبحار في اتِّجَاهِ إسطنبول، وعند مغادرتهِ باريس تَحَوَّلَ الحجري إلى روان ومنها إلى لوهافرثم التحقَ بهولندا (التميمي، 1991م: 83-86)، ومن خلال السفارة تَبَيَّنَ أَنَّ الحجريَّ قد تَوَجَّهَ إلى فرنسا لِحَلِّ أَرْمَةِ الموريسكيِّين بها؛ إِذْ إِنَّ السُّلْطَاتِ الفرنسية كانت شديدة العداء لهؤلاء المهاجرين إليها، ولم يقتصرِ العداءُ على الوجود الموريسكي في التراب الفرنسي؛ بل بَرَزَ بوضوح أثناء عمليات نقلِهِم عبرَ البحرِ إلى الشمال الأفريقي لِلتَّخْلُصِ مِنْهُمْ؛ إِذْ تَعَرَّضَ الموريسكيُّونَ إلى السَّلْبِ والنَّهْبِ من طرفِ أرباب السفن الفرنسية.

ومن أهمِّ تجمُّعات الموريسكيِّين التي ذَكَرَهَا الحجري فرنسا؛ إِذْ تَحَدَّثَ في سفارتهِ التي اتَّجَهَتْ إلى هذه الدولة عن وجودِ قاضٍ للأندلسيِّين في المجلس الملكي بفرنسا، مركزُهُ في سان جوي دلوث؛ يختارُهُ الملك من بين النصاري ليقضي بين الأندلسيِّين في نزاعاتهم ولأخذِ خُمُسِ أَمْلاكِ أغنيائهم لِصَرْفِهَا على فقرائهم؛ يقول الحجري: "... وأعطُوا كُتُبَ السُّلْطَانِ للقضاة الذين ذَكَرْنَا لَهُمْ وأيضًا لقاضي الأندلس؛ وذلك أَنَّ في ديوانهم وَجَّهُوا قاضيًا نصراني منهم إليهم ويقضي بينهم ويأخذ خُمُسَ المَالِ للأغنياء من الواردين على بلاد الفرنج ويُقيِّمُ بذلك فقراؤهم" (الحجري، 2019م: 95).

لم يذكرِ الحجري تفاصيلَ بشأن عدد الممتلكات المسروقة في كتابِهِ "ناصر الدين"، لكنَّهُ ذَكَرَ بعض التفاصيل في رسالَتِهِ التي وَجَّهَهَا إلى الموريسكيِّين في القسطنطينية؛ فقد ذَكَرَ أَنَّ مراسلاتِهِ مع أَحَدِ الموريسكيِّين المَهْزُومِينَ، ومقدار ما سُرِقَ مِنْهُ، وتقدير الأموال التي نُهِبَتْ على مَتْنِ الفَنِّ الفرنسية "كذلك خيرونيمودي لا كوبا، أصيل بايخا، والذي قام



بسرقته أحد الفرنسيين، والذي سَيُسَجَّنُ قريباً إن شاء الله، وقَدَّرَ المسروقات بأربعين ألف دوكدوس؛ ورجاني كذلك أن أتوكلَ عنه. كاتبتُ الذين أرسلوا لي المعلومات، رَغْمَ أَنَّ خيرونيمو دي لا كوبيا قال بأنه سيأتي إلى هنا؛ وهكذا أدركتُ أَنَّ مجموع سرقات البحارة الفرنسيين سيكون أكثر من ثلاثمائة دوكدوس؛ كلها، أو أغلبها ضاعت وأُكِلَتْ وقُسِمَتْ (الحجري، 2015م: 159)، وذكرَ الحجري الأشخاص الذين ساعدوه في فرنسا للقيام بالمهمة التي أُوكلَ إليها؛ قال: "... وبمساعدة كبيرة من عِدَّة أشخاص تحصَّلتُ عليه: الأول هو السيد دي ليلو، الذي كان طبيباً للملك في المغرب لسنوات عديدة. الآخر هو سكريتير الملك ويُسمَّى السيد مانها، وهو رجل رائع وزارَ جميعَ أنحاء إسبانيا؛ ثم السيد هوبارت، طبيب الملك، وأستاذ عربية. زارَ كذلك المغرب بأمرٍ من مَلِكِ فرنسا في الوقت الذي كنتُ فيه في خدمة الملك... كان السيد تابيا هنا معي، وهو مُفَاوِضٌ جيّد، أدركتُ معرفته للسَيِّدَيْنِ الذين قُلْتُ أَنَّهُمَا دَعَمَانِي؛ أرجو بشدة أن يُراعَى معروفهم، فإذا كانوا في حاجة في أيّ يوم من الأيام للمساعدة فيجب مُساعدتهم، لأنَّه بالإضافة إلى أَنَّهُم رجال أصحاب شرف كبير بمساعدتي، فقد دَعَمُوا أُمَّةً في خِصَمِ العاصمة، مسحوقة في هذه الأزمان، كذلك أرغبُ في أن يتم تقديم الشكر لسفير فرنسا من أجل كُلِّ ما فَعَلَهُ لصالح الموريسكيين، وأن يتم إخبارُهُ بما كُنْتُ؛ وأن يتم نيابتي عند السيد الكبير. أَعَزُّهُ الله، الدَّاعِمِ لإنجاز هذه الأمور، وأن يتم إعلامُهُ بِأَنَّ دَعْمَهُ أَعَزَّنَا في هذه الأرض ولهذا السبب عُمَلْنَا على أساس جيد" (الحجري، 2015م: 160)، وبمساعدهم تَمَكَّنَ الحجري من استعادة بعض الأموال المُهَوَّنة لِمُوكَلِّهِ "كان للرسالة التي كَتَبَهَا السفير إلى المجلس إلى الأعلى ببائيس تأثير، فأخيراً تَمَكَّنَّا من استرجاع بعض الأمتعة وحَمَلْنَاها إلى الذين أعطَوْنا التوكيل" (الحجري، 2015م: 164).

ومن فرنسا أبحر بعدها الحجري إلى هولندا. وقد أشارَ الحجري أثناء سفارته إلى بلاد هولندا (1611-1613م) (Waardenburg, 1999: 75) إلى طبيعة تلك العلاقات الودَّية وانعكاسها على الموريسكيين؛ فأنشاء عودته إلى بلاد المغرب لم يُفْضَلِ العودة عن طريق فرنسا؛ نظراً لعدم ثقته في الربانة الفرنسيين الذين كانوا يَعْتَدُونَ على الموريسكيين وَيَضْرِبُونَهُمْ، بخلاف هولندا؛ التي أصبحت وَجْهَةً آمناً لهم، يقول الحجري: "... قلتُ: لِمَ نُؤَلِّي إلى بلادنا في سفنهم؛ بل نمشي إلى فلنضس [هولندا] لأنَّهم لا يَضْرِبُونَ المسلمين، بل يُخَسِّنُونَ إليهم، كما سيأتي" (الحجري، 2019م: 163).

كما أَطْرَى على الهولنديين لأنَّهم أَطْلَقُوا سَرَاحَ ثلاث مئة مسلم وأعادوهم إلى المغرب، وجزاء ذلك رَدَّ عليهم الإحسانَ بإحسانٍ عندما تَوَسَّطَ لدى سُلطان مراكش في إطلاق سراح



أحد أبناء الهولنديين: "وتذكرت الخير الذي عملوا للمسلمين حين بعثوهم هدية إلى ملتهم، وقفن ودبرت وكلمت المفتي العالم الشهير محمد أبا عبد الله، وكلم السلطان وانطلق من السجن. فلما أن زارني ببلاده مشى إلى الأمير وأعلمه وخملي إلى عنده وأقبل عليّ وعز رأسه وأخذ بيدي وأجلسني" (الحجري، 2019م: 169)، والشخص الذي ساعده الحجري في النص السابق هو بيوتر ميرتنسون كوي؛ الذي كان هذا الأخير نائب الولايات العامة بمراكش خلال سلطنة مولاي أبي فارس، وكان الحجري قد أعان على تسريحه بعد أن سجن، والتقى به الحجري في لاهاي بالصدفة؛ فعرفه الأخير لحاكم هولندا امتناناً لمساعدته له في مراكش (الحجري، 2019م: 40). ويضيف الحجري في قوله: "ثم مشينا على مدينة الهاية [لاهاي]، فيها دار أميرهم والديوان، والتقيت هنالك برسول الأمير، كنت عرفت بمراكش، وكان شاكرًا لي كثير على ما وقف معي في سجنه حتى خلصته منه. وسبب قدومه إلى مراكش: أن سلطان بلاد الأندلس بعث الأعرية إلى الجزر التي قلنا أنها على غير طاعته؛ فخرج إليهم أهل الجزر وأخذوا الأعرية؛ ورموا من كان فيها من النصارى في البحر، كذا قيلن وفكوا كل من كان فيها من المسلمين؛ وكانوا أكثر من ثلاث مائة؛ وجعلوهم في سفينة عظيمة وبعثهم أهل فلنسس [هولندا] هدية إلى سلطان مراكش، وكان ابن مولاي أحمد اسمه بوفارس وكان ذلك في نحو أربعة عشرة سنة وألف" (الحجري، 2019م: 168).

وتلقى الحجري معاملة حسنة من قبل ملك هولندا، وأمره هذا الأخير أن يطلب ما يريد؛ فطلب الحجري أن يؤمن له سفينة تضمن عودته لبلاد المغرب سالمًا، فتم تنفيذ الأمر له، ثم منحه أحد التجار الهولنديين السكر والتمر الذي يعد من أندر السلع التجارية في بلاد هولندا التي كانت تستورد من بلاد المسلمين، وهنا إشارة أخرى أن طبيعة العلاقات مع هولندا لم تقتصر على الجانب السياسي فقط؛ بل شملت الجانب الاقتصادي المتمثل في العلاقات التجارية بين الطرفين، ذكر الحجري: "قال: ما تطلب؟ قلت: أن توصي بنا راييس السفينة التي نمشي فيها. قال: هذا فقط؟ قلت: نعم، قال فابحث حتى تتحقق من السفينة التي نمشي واعرف اسم الراييس وأيضًا اسم التاجر مولا السفينة؛ وأتني فأخبرته بأسمائهما، وأمر لكايب السرا أن يكتب لكل واحد براءة بالوصية علينا وعلم عليها، وفرح كل واحد بكتابه؛ فالتاجر استعمل لنا من السكر أنواعًا من الأطعمة، وأعطانا حتى التمر التي هي غريبة عندهم، لأنها مجلوبة من بلاد المسلمين، إذ ليس هي في الدنيا إلا في بلادهم" (الحجري، 2019م: 171).



وتعود أسباب حُسن استقبال الهولنديين للموريسكيين لطبيعة العلاقات الودّية بين هولندا والدولة السعدية، فمنذ عام 1610م عَقِدَتِ اتفاقية بين هولندا والسُلطان مولاي زيدان؛ لذا نُقِسِرُ هنا زيارة الحجري لحاكم هولندا موريس مَرَاتٍ عِدَّةً نتيجةً لتلك العلاقة (406: 1996، Kontzi)، وَتَحَاوَرَ الأخيرُ مع الحجري بشأن إمكان التَّحَالُفِ بين التُّرك والمغاربة والهولنديين والأندلسيين ضِدَّ إسبانيا: "... قال لي: لو اتَّفَقْنَا مع كبراء الأندلس ونبعثُ لهم عمارة من سفن كبيرة ليركَبُوا فيها مع جنونا نأخذ اشبانية؟ قلتُ: لا يمكن للأندلس أن يَتَفَقَّوا على هذا إلَّا بإذن السُّلاطين الذين خرجوا ببلادهم وسَكَنُوا بها. قال لو كُنَّا نَتَّفِقُ مع سُلطان مراكش ونبعثُ للسَّيِّد الكبير، أعني السُّلطان الأعظم سُلطان الإسلام والدين، وَنَتَّفِقُ جميعًا على سُلطان إشبانية نَظْفُرُ به ونأخذُ بلاذة. قلتُ له: هذا أَمْرٌ عظيم لو حَصَلَ وفي تحصيله شَكٌّ. وأمَّا لو كان هذا الاتفاق فيأخذون بلاد الأندلس، أعادها الله إلى الإسلام" (الحجري، 2019م: 170).

كما وردت إشارة في براءة الطَّرْدِ التي تَرَجَّمَهَا الحجري توضَّح طبيعة العلاقة بين الموريسكيين والهولنديين، والاتفاق بشأن إمكان التعاون العسكري بين الطرفين ضِدَّ إسبانيا "أَنَّهُمْ بَعَثُوا لِلتُّركي الكبير بإصطنبول ومولاي زيدان بمراكش رُسُلُهُم يطلبون منهم أن يُنَجِّدُوهم وَأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ مائة وخمسون ألف رجلًا مُسْلِمُونَ؛ مثلاً الذين ببلاد المغرب الإفريقية؛ وأيضًا بَعَثُوا لأعدائنا البحرية بالجهة الشمالية التي تحت القطب وأنعمُوا أَنَّهُمْ يُعِينُهُمْ بِسُفُونِهِمْ" (الحجري، 2019م: 173)، وَذَكَرَ الحجري إحدَى السفارات المتبادلة بين مولاي زيدان وهولندا؛ قال: "وقد جاء رسول من بلاد فلمنك إلى مولاي زيدان ابن مولاي أحمد، رَحِمَهُمَا اللهُ، إلى مدينة مراكش؛ وكتاب رسالتهم عجمي؛ وأَمَرَنِي السُّلطان أن أَعْرِيه؛ ومن أجل ذلك كان الرسول يُظْهِرُ لي محبَّةً" (الحجري، 2019م: 152).

2-3- خط سير رحلته من بلاد المغرب إلى الحجاز: مراكش، سَلا، مكة، المدينة 1046هـ/ 1636م: عاد الحجري من رحلته إلى أوروبا وتَوَجَّهَ إلى المغرب، وكانت لديه اتصالات ببعض علمائها؛ فقد اتَّصَلَ بالفقيه أحمد المصبوب أو المعيوب الفاسي⁽¹²⁾ في مدينة مراكش وأخذ منه علم النجوم، كما ذَكَرَ عن مجالسته لفاضي الجماعة في المدينة نفسها عيسى بن عبد الرحمن السكتي⁽¹³⁾ "السكتاني" (المنوني، 1964م: 338)، وفي عام 1046هـ/ 1636م وكان عُمرُهُ 65 سنة، قَرَّرَ الحجري التَّوَجُّهَ إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج؛ فقد انطلقت رحلته من مدينة مراكش إلى قصبة سَلا، ومن هناك رَكِبَ البحرَ وَاتَّجَهَ إلى تونس التي اتَّخَذَهَا موطنًا جديدًا لإقامته قبل ذهابه إلى الحج؛ وكان ذلك

في عام 1046هـ/ 1636م، وعند وصوله إلى بلاد الحجاز تَوَجَّهَ إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المدينة المنورة، ومن المدينة عاد وائْتَجَهَ إلى مصر (الحجري، 2019م: 206-207).

2-4- خط سير رحلته من مصر إلى تونس: المدينة، مكة، القاهرة، تونس 1047هـ/ 1637م؛



الخريطة من عمل الباحثة توضح خط سير رحلة الحج واستقراره في تونس من عام 1636م إلى عام 1637م

تُعَدُّ مصرُ إحدى الوجهات التي هاجر إليها الموريسكيُّون بعد صدور قرار الطرد؛ قال المقري: "ووصل جماعة إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام" (المقري، 1968م، صفحة 528)، وكانت الثغور المصرية، كالإسكندرية، ورشيد، ودمياط؛ من أهمِّ المراكز التي استقرُّوا بها، ومنها اتَّجَّهُوا نحو المناطق الكبرى كالقاهرة، والمنصورة، والسويس؛ فاندمجوا مع أبناء المجتمع المصري، وبدوُّوا بممارسة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وأكَّدَتْ وثائق المحاكم المصرية بما تحويه من كمِّ هائلٍ من الوثائق المتعلقة بالمُهْجَرِينَ الأندلسِيِّين مدى تأثيرهم في مناحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية المختلفة في مصر (التميمي، 1991م: 112)، ففي الناحية الاقتصادية؛ عَمِلَ الأندلسِيُّون في قطاع الزراعة والصناعة والتجارة، ولَعِبُوا دورًا مهمًّا في الحياة الاقتصادية في مصر خلال العصر العثماني (1517-1798م)، أمَّا من الناحية الاجتماعية؛ فقد اندمج هؤلاء الأندلسِيُّون اجتماعيًا مع أبناء المجتمع المصري من خلال



الزّواج، والتعامل اليومي، والاشتراك في الأعمال المهنية المختلفة، وإدخال بعض من عاداتهم وتقاليدهم في المجتمع المصري. أمّا أثرهم الثقافي فتجسّد في هجرة العلماء الأندلسيين إلى مصر والتحاقهم بالمجالس العلمية، وتأليف العديد من المؤلّفات العلمية في المجالات المختلفة، وتأثير اللّهجة الأندلسية المغربية في بعض المناطق التي استقروا فيها كالإسكندرية. كما انتشرت الثقافة الصوفية على يد مُتصوّفة أندلسيين (عبد الرحيم، 1984م: 178)، يد مُتصوّفة أندلسيين.

وكانت مصر ممراً ضرورياً للمسلمين القادمين من المغرب والأندلس لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودة الحجري من الحج اتّجه نحو مصر عام 1637م، ولما وصل الحجري إلى مصر (Nutting E. , 2014: 204): اتّصل بالشيخ علي بن محمد ابن عبد الرحمن الأجهوري الذي طلب منه وضّع كتاب عن مناظراته مع النصارى واليهود، وقد انتهى الحجري من تأليفه للكتاب بمصريوم الجمعة 21 ربيع الآخر عام 1047هـ / 1637م (المنوني، 1964م: 339)، كما أنّه اشتغل أميناً بدار محمد بن أبي العاص الأندلسي⁽¹⁵⁾ هناك: "... وكان عام سِتّ وأربعون وألف، في نحو العشرين من شوال، يوم السبت، وأنا في مصر... ومشيتُ إلى دُكان محمد ابن أبي العاصي الأندلسي؛ كنتُ أميناً على قبض ما يبيع التّاجر" (الحجري، 2019م: 199-200)، ولقي الحجري فيما يبدو خلال مروره بمصر أثناء طريقه للحج أو بعد الرجوع منه عام 1040هـ / 1631م (هلاي، 2015م: 20) مؤرّخ الأندلس شهاب الدين المقرئ (ت: 1041هـ / 1631م)؛ وهو يُشير إليه وإلى كتابه "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" في كتاب "العزّ والمنافع" في تلك الفقرة: "وقد صحّح من كُتّب التواريخ التي جمّعها العلّامة الشيخ أحمد المقرئ في كتابه بمصر، في الكتاب الجامع للتواريخ على بلاد الأندلس، أعادها الله إلى الإسلام" (عنان، 1971م: 13).

ومن مصر ارتحل الحجري إلى تونس عام 1047هـ / 1637م، التي صارت موطنه الجديد؛ فقد عمِل مُترجماً لبني جلدته من الموريسكيين، فكانت له صلّة بأمرها العثماني الداوي أبو المحاسن مراد (1638-1640م)، وقد أثار إعجابه بالداوي؛ فتحدّث عن سيرته ومنشأته الدفاعية، والتقى كذلك بالموريسكي محمد بن عبد الرافع بن محمد الشريف الحسني؛ وهو فقيه أندلسي أُجبر على مغادرة الأندلس عام 1018هـ / 1609م واستقرّ بتونس مع عائلته؛ وهو صاحب كتاب "الأنوار النبوية في آباء خير البريّة" (التميمي، 2011م: 92).

كما تعرّف هناك على أحد مُسلمي إسبانيا هو الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم ابن محمد بن زكريا الأندلسي (11هـ / 17م) الشهير بالرباش من قرية نولش إحدى قرى غرناطة،



ثم انتقل منها إلى جهة قرب مدينة غرناطة، وهناك نشأ وأقام إلى أن أجلي عنها إلى إشبيلية، وعندما تم طرد الموريسكيين من إسبانيا هاجر منها إلى تونس التي وصلها آخر أيام الداوي عثمان (المنوني، 1964م: 340)، ويُقال أن اسمه مُحَرَّفٌ عن الإسبانية (Barbas) أي اللّحية، أو (Arribas) أي العلوّ، وكلّتا الروايتين مصدرهما إسباني، وقد قام هذا الموريسكي بتأليف كتاب عن الجهاد بالمدايع فَترجمه الحجري من الإسبانية إلى العربية (الحجي، 2003م: 77)، وهو كتاب فريد من نوعه انتشر و صار يُعمل به في المدفعية الإسلامية، وبفضله تمكّن التّونسيون من إتقان استعمال المدايع والبارود في فوّهات النار الأخرى (التميمي، 2011م: 93)، وكذلك انتشر بالمغرب في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد قام الرباش بتأليف هذا الكتاب بعد انتهاء عمله كونه بحريًا حربيًا؛ فقد عمِل سابقًا مع الإسبان وأبحر إلى مناطق عدّة منها أمريكا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، ثم بعد ذلك قضى مدة سبع سنوات في سجون الإسبان بعد أن أُسر حين كان مركبُه مُبحرًا في اتّجاه مالقة، وقام الحجري بترجمة مذكّرات الرباش إلى العربية، وأضاف إليها مقدّمة تتناول ترجمة القبطان الموريسكي بتونس، ورَوّدها الحجري بخاتمة احتوت على ترجمة له، وانتهى الحجري من ترجمة هذا الكتاب في 10 ربيع الآخر عام 1048هـ / 1638م (قشتيلو، 2001م: 38-39)، ثم قضى بعد ذلك الحجري بَقِيَّةَ حياته في تونس؛ فقد انتهى من تحرير النسخة الأخيرة من مخطوطته "ناصر الدين على القوم الكافرين" بتاريخ 20 رجب 1051هـ / 25 أكتوبر 1641م، وهي النسخة التي كُتِبَتْ بواسطة الناسخ محمد خوجة الذي هو ابن أحمد بن قاسم الحجري (الحجري، 2019م: 223)، وبعد ذلك لم يَرِدْ ذِكْرٌ لأحمد بن قاسم الحجري ويُرجّح أنّه توفّي بعد هذا العام.

كانت السُلطة العثمانية العليا في تونس بيد الداوي عثمان؛ الذي أحسن استقبال المهاجرين الموريسكيين في الأراضي التّونسية، واتّخذ إجراءات عدّة لتسهيل استقرارهم في تونس؛ منها: أمرٌ بعدم تحصيل رسوم جمركية من السفن التي كانت تُحضّر الموريسكيين؛ إعفاء مؤقت من الضرائب؛ توفير مُستلزمات للأنشطة الفلاحية؛ توفير الأمن؛ السماح لهم بإقامة نظام قضائي خاص بهم غير خاضع للقضاء العثماني، شهدت تونس في عهد الداوي عثمان ومن بعده الداوي يوسف حالاً من الاستقرار السياسي والأمني في الإيالة؛ ما جعلها وجهة استراتيجية للموريسكيين الذين عاثوا من ويلات الحروب والاضطهاد المسيحي، فقد أصبحت تونس بالنسبة لهم المُستقرّ والمُسكن المناسب لهم من الناحية الأمنية والدينية؛ فقد ذكّر الحجري بعد وصوله إلى تونس عام 1637م أنها أفضل وطن للموريسكيين، في



قوله: "في كُلِّ الأوقات وبأيِّ حالٍ من الأحوال وحتى اليوم، تونس هي أفضل مُستَقَرٍّ للأمة". كما ذكر أيضا أنه: "... في عام خمسين وألف كنتُ بمدينة تونس المحروسة بالله ساكنًا في بيت وحدي"، "... ثم بعد أشهرٍ جاء ابني بزوجتي من تسترت، بلاد، ونَزَلَ عندي" (الحجري، 2019م: 199). وهذه المدينة ظَلَّتْ تتمتعُ بخصائصها المعمارية والحضارية الأندلسية، وتحفظ بخصائصها الموريسكية من وُجُوهِ بَنِيَّةِ المجتمع، والمعمار، واللغة (عنان، 1971م: 141)، ويُشِيرُ الحجري في نسخته التونسية من كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين" إلى دور كُلِّ من عثمان داي والوَلِيّ بلغيث القشاش؛ ذَاكِرًا: "وَذَكَرَ لي مَنْ جاء بعدهم رجلٌ أندلسي من بلاد الثغر اسْمُهُ قَلَشُ بأنَّ كتاب الديوان السُّلْطاني بمذريل [مديرد] قالوا: بَلَغَ نهاية جميع الاندلس بصغارهم لثمان مائة ألف مخلوق، وأكثرهم خَرَجُوا بتونس. وكان عثمان داي أميرًا فيها؛ وتَكَفَّلَ أمورَهُم بالسُّكْنى في المدينة وغيرها في القرى وأَحْسَنَ إليهم غاية الاحسان؛ أَحْسَنَ الله إليه... وكذلك الوَلِيُّ الشهير سيدي أبو الغيث القشاش كان يعطيهم في كُلِّ يوم نحو ألف وخمسمائة قرصة من الخبز صدقة" (الحجري، 2019م: 103)، وهذه الصورة التي قَدَّمَهَا الحجري إِنْ كان ظاهرها مَدِيحًا على حُسْنِ صنيعِ التَّوْنُسِيِّينَ مع المهاجرين الموريسكيين؛ إِلَّا أَنَّهُا تَعَكِّسُ أوضاعهم المعيشية الصعبة في بلدان المهجر، وتُعَبِّرُ عن مَذَلَّةٍ بعدَ عِزٍّ، وتَسْرُدُ بعد استقرار.

-خاتمة:

- أَرَزَحْتُ رحلةَ الحجري عبر محطات توقف واستئناف للعديد من القضايا التاريخية للموريسكيين ما جَعَلَهَا ذات أهمية توثيقية لكونها جسدت طابع مميز في تقييد السيرة الذاتية من جهة وتدوين وضع تاريخي لمسلمي الغرب الإسلامي من جهة أخرى، وقد كُتِبَ بقلم شَاهِدٍ عيان؛ إذ مَثَّلَ الحجريُّ أُنْمُوذَجًا مُمَيَّزًا لأقرانه من الموريسكيين وظروفهم المأسوية خلال العصر الحديث،

- رَكَزَتِ الرِّحْلَةُ على الأحداث التي عاشتها الأندلس في سنوات الطَّرْدِ والترحيل. فرصد الحجري في رحلته خَبَرَ تهجير الموريسكيين من إسبانيا وتَبَّعَ آثارهم في البلدان المُسْتَقْبِلَةَ. مستثمرا علاقاته الدبلوماسية الرفيعة المستوى واتصالاته مع الملوك، والرجال السياسيين، والمُستَشْرِقِينَ في الدول الأوروبية المختلفة في تعزيز "الخطاب الإسلامي".

- رَصَدَ نصَّ الرحلة المناطق التي هَاجَرَ إليها الموريسكيون بعد سقوط غرناطة، حيث لم تتركز نحو بلدان المغرب الإسلامي، إنما تعداهُ ذَلِكَ نحو بلدان المشرق الإسلامي كمصر ومكة والمدينة وبلاد الشام كما دونهُ الحجري في رحلته.



- وصَفَتِ الرِّحْلَةُ معاناةَ الموريسكيّين بعد طَرْدِهِم وسوءِ استقبالهم في بعض بلدان المغرب؛ فقد تعرَّضُوا لِلْسُّلْبِ والنَّهْبِ من قِبَلِ الأعراب، والاستغلال من بعض السُّلْطَات الحاكمة، ما جَعَلَ الباقين يرفضون الترحيل ويُبْذَوْنَ المعارضة والمقاومة ضدَّ السُّلْطَات الكاثوليكية في إسبانيا.

- كشفتِ الرِّحْلَةُ أَنَّ الموريسكيّين بعد الهجرة خارج إسبانيا واجهوا واقعهم بالسُّبُلِ كُلِّهَا المتاحة مع ضعفِ الإمكانيات وغيابِ أيِّ مساعدة حقيقية بحكم التحوُّلات والمتغيّرات السياسية التي كان يشهدها المجال المتوسطي آنذاك؛ إِلَّا أَنَّهُمْ واجهوا تلك الصعوبات وتكيّفوا مع تلك المجتمعات واندمجوا فيها تاركين بصمتهم الثقافية والحضارية فيها.

-التعليق:

-التعليق 01: قرية الحجر الأحمر: هي منطقة في إكسترامادورا (Extramadura) المُسمَّاة أرض بروس (أرض الطَّين، التي ماهاها بأحجار الحجريّ الحمراء)، وهي جهة تشمل في الواقع قرية هرناشوس (Hornachos)، ويذكر إسماعيل العثماني أَنَّ الحجر الأحمر هي ترجمة لكلمة تيرا دي باروس، وقد عُرِفَت هذه القرية الصغيرة بترتها الطينية الحمراء، التي كان يستعملها السكان في الجرف الخزفية؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2019م: 11).

-التعليق 02: قرية أوردناشوس (Hornachos): هي بلدية تابعة لإقليم إكسترامادورا (Extramadura) في إقليم (Badajoz) الواقع غرب إسبانيا. وصَفَها النبيل الألماني إريش لاسوطة دي سطلوفو في يومياته على النَحْوِ التَّالِي: "سِرْنَا يوم 6 يونيو إلى هرناشوس، وهي بلدة جميلة ورائعة؛ تقع على بعض الجبال، ويتكلم فيها لغة المسلمين"، طَرَدَ منها المسلمون سنة 1614م وَلَجَّوْا إلى قصبة الوداية بالرباط فهناك يعيشون إلى يومنا هذا. وقد عُرِفُوا بالتزامهم بالدين الإسلامي مع تنصيرهم من طَرَفِ السُّلْطَات المسيحية الإسبانية في القرن السادس عشر؛ للمزيد انظر: (رُزُوق، 2011م: 112).

-التعليق 03: قرية بيخار: تُوجَدُ بين الجزيرة الخضراء وقادس، وهي مرتفعة جدًا حتى يُقَالُ أَنَّ الإنسان بها يرى أَظْهَرَ الطيور وليس بُطُونَهَا، وتُسَمَّى بيغاردي لا فرونطيرا (Bejar de la Frontera) أي بيخار الحدود، وَرُبَّمَا كانت تَفْصِلُ بين حكم النصارى والمسلمين؛ للمزيد انظر: (قشتيلو، 2001م: 35).

-التعليق 04: رديغو ثورانو: موظف رسمي ورئيس ربانة الملك الإسباني المكلف بإعداد الرحلات على الطَّرِيق البحرية؛ انظر: (الحجري، 2019م: 17).



-التعليق 05: الأكييل الأندلسي: هو أونسودي كاستيو (Alonso de Castillo)؛ من بين أشهر الشخصيات الموريسكية في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وهو من عائلة غرناطية أُجبرت على اعتناق المسيحية سنة 1500م؛ دَرَسَ الطَّبَّ في جامعة غرناطة، واشتغل طبيبًا ومُترجمًا لصالح السُّلطات المحلية، خاصَّةً رئيس أساقفة غرناطة؛ الذي كَلَّفَهُ بترجمة الكتب الرصاصية، كذلك جَعَلَهُ الملك فيليب الثاني مُترجمه الرسمي؛ خاصَّةً فيما يتعلق بمراسلاته مع أحمد المنصور الذهبي، كما كَلَّفَ بفهرسة المخطوطات العربية بالأسكوريال. تُوِّفِّيَ تقريبًا في حدود سنة 1607؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2015م: 52).

-التعليق 06: القسيس الأعظم: هو بدرو دي كاسترو (Pedro de Castro)؛ رئيس أساقفة غرناطة الذي تولى هذه المهمة من سنة 1589م إلى سنة 1610م، ولَعِبَ دورًا مُهمًّا في ترجمة النصوص الرصاصية التي عُثِرَ عليها في غرناطة سنة 1588م؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2015م: 48).

-التعليق 07: توماس إيرينيوس Erpenius Thomas (1584-1624م): هو مُستشرق هولندي؛ اسْمُهُ بالهولندي (Van Erpe)، ووُلِدَ في جوركم (Gorkum) بهولندا سنة 1584م، ودَرَسَ في ليدن علم اللاهوت، وأخذ يتنقَّلُ في بلدانٍ عِدَّةٍ لأجل تعلُّم اللغة العربية حتى أنقَها وأصبح من كبار المستشرقين، وله مُؤَلَّفَاتٌ عِدَّةٌ كَتَبَهَا باللغة العربية؛ منها: كتاب الأمثال، والنحو العربي في خمسة أبواب، وسورة يوسف وَهَجِّيَّ العرب، وقد تُوِّفِّيَ عام 1624م؛ للمزيد انظر: (بدوي، 1993م: 16-18)؛ (Emanuela, 2018: 425-427).

-التعليق 08: البرطال الغرناطي (El Partal): هو البرطال دي نريلا؛ أندلسي من المحاربين، وأشهر قادة ثورة البشرات، ويقول عنه مارمول بأنَّه كان محسوبًا من قبَلِ محاكم التفتيش قبل الثورة؛ التي حَكَمَت عليه بعدم الخروج من مدينة غرناطة، لكنَّه طَلَّبَ إذْنًا للذهاب للبشرات، والتحق بالثوار، ويبدو أنَّه إِثْرَفَشِلِ الثورة خرج بعائلته إلى المغرب؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2019م: 30)؛ (السفياني، 2020م: 616)؛ (أورتيث، 2013م: 38).

-التعليق 09: أحمد المصوب الفاسي (ت: 1022هـ / 1613م): ابن معيوب، أحمد بن قاسم بن معيوب، أبو العباس الأندلسي؛ من علماء الحساب والهيئة، من أهل مراکش، وأصله من الأندلس، وكان بالغًا في علم التنجيم والخَاطِّ الرملي وعلم الجدول العددي والحرفي، وله كتاب في علم النجوم "السَّيَّارة في تقويم السَّيَّارة"، وتُوِّفِّيَ عام 1613م؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2019م: 160)؛ (الزركلي، 2002م: 198).



- التعليق 10: عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (ت: 1062هـ / 1652م): عيسى بن عبد الرحمن، أبو مهدي الرجراجي السكتاني؛ مُفتي مراكش وقاضها وعالمها في عصره، ومولده ووفاته فيها، وقد تولى قضاء بتامسنا ثم قضاء تارودنت، فقضاء مراكش، ومن أهم مؤلفاته: "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي"؛ للمزيد انظر: (الزركلي، 2002م: 104).

- التعليق 11: محمد بن أبي العاص الأندلسي: تُرجمان موريسكي حفيد الجبّيس وهما من الأندلسيين الضالعين في تأويل الرّق والكتب الرصاصية، وقد مارس إلى جانب جدّه الترجمة للتصاري، وفي عام 1611م عندما كان الحجري في باريس راسلًا محمّدًا وهو في إسطنبول في ذلك الوقت، ثم لقيّه بعدئذ مرة أخرى في القاهرة فقد امتلك متجرًا عمل فيه الحجري؛ للمزيد انظر: (الحجري، 2019م: 24).

-قائمة المصادر والمراجع:

1. أورتيت، أنطونيو دومينغيث؛ بيرنارد فانسون، (2013م)، تاريخ الموريسكيين: حياة ومأساة أقلية، ترجمة: محمد بنياية. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
2. بدوي، عبد الرحمن، (1993م)، موسوعة المستشرقين، ط3. بيروت: دار العلم للملايين.
3. التميمي، عبد الجليل، (2011م). تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية والإسلامية منها. زغوان: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.
4. التميمي، عبد الجليل، (1991م). تطبيق الموريسكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية (1492-1609م). زغوان: مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات.
5. الحجري، أحمد قاسم، (2015م). ناصر الدين على القوم الكافرين (النسخة المصرية). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
6. الحجري، أحمد قاسم، (2019م). ناصر الدين على القوم الكافرين. تطوان: الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية.
7. الحجي، عبد الرحمن علي، (2003م). هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها. أبو ظبي: المجمع الثقافي.
8. الحسيناوي، محمود عاشور، (2013م). موقف الدولة السعدية من مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة (916-1069هـ / 1510-1659م). ذي قار: جامعة ذي قار.
9. الخطيب، رشا، (2018م). أحمد بن قاسم الحجري "أفوقاي". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.



10. دوبالي، خديجة، (2021م). حركة الجدل الديني في إسبانيا الكاثوليكية خلال القرنين 16 و17. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا. جامعة تيارت، الجزائر، مج4، ع2، ص ص: 525-535.
11. دي إيبالثا، ميكيل، (2005م). الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
12. رزوق، محمد، (2011م)، إسبانيا بعيون الشهاب الحجري، كجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء: جامعة الحسن الثاني المحمدية، ص ص: 111-114.
13. _____، (1987م). الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
14. الرياش، إبراهيم أحمد بن غانم، (2013م). العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.
15. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (2002م) الأعلام "قاموس تَراجِم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستعربين والمُستشرقين". بيروت: دار العلم للملايين.
16. ساعف، عبد الله عبد الرحمن، (1991م). تقديم كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين أو مختصر رحلة رحلة شهاب إلى لقاء الأُحباب للفقيه أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي أفوقاي. مجلة أبحاث، ع27، ص.ص. 105-110.
17. السعيد، أحمد، (2014م). رحلة ناصر الدين على القوم الكافرين وتحقيقها: نقد واستدراك من نسخة مكتشفة حديثا. مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، مج85، ص ص. 281-282.
18. السفياي، هدى جبير، (2020م). أحمد بن قاسم الحجري [ت: بعد 1051هـ/1641] ورحلته مصدرا للأوضاع العلمية للموريسكيين. حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق. جامعة الأزهر، غزة، مج40، ع2، ص.ص. 612-618.
19. شاشية، حسام الدين، (2021م)، حسن/سوء الاستقبال: الدول والمجتمعات المتوسطة في مواجهة طرد الموريسكيين خلال القرن السابع عشر الميلادي، ضمن كتاب: Ben Khalifa, Ridh, Migrations Mediterraneennes du Moyen Age Anos Jours institutions et liens sociaux, Etab lissement Boujmil dEdition et de Publicite, Nirvana



20. طعام، شامخة، (2013م). التخيل التاريخي في الرواية المغربية (الجزائر: المغرب: تونس). الجزائر: جامعة وهران.
21. عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن، (1984م). المهجرون الأندلسيون من خلال وثائق محكمة الإسكندرية الشرعية في العصر العثماني في مصر. مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، مج 10، ع 1، ص. ص. 199-200.
22. عنان، محمد عبد الله، (1971م). تستور-بلد الموريسكيين الأندلسيين. مجلة العربي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 156، ص. ص. 141-145.
23. قشتيلو، محمد، (2001م). حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها. تطوان: مطابع الشيخ.
24. مرزوق، محمد، (1987م). الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م. أطروحة الدكتوراه غير منشورة في تخصص التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
25. مسعود، أيوب، (2020م). تداخل الأجناس في أدب الرحلة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
26. المقرئ، أحمد محمد (1041هـ/1632م)، (1968م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. بيروت: دار صادر.
27. الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت: 1315هـ/1897م)، (1997م). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الدار البيضاء: دار الكتاب.
28. المنوني، محمد، (1964م). ظاهرة تعريبية في المغرب أيام الدولة السعديين. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد. مج 11، ع 12، ص. ص. 79-89.
29. هلال، الحنفي، (2015م). الموريسكيون الأندلسيون في إسبانيا من خلال رحلتي الشهاب الحجري والوزير الغساني. مجلة الحوار المتوسطي، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس مخبر البحوث و الدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، مج 2، ع 6، ص ص: 15-35.
30. Conidi Emanuela (2018), Arabic Types in Europe and the Middle East, 1514-1924: Challenges in the Adaptation of the Arabic Script from Written to Printed Form, Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy, Department of Typography Graphic Communication. London:University of Reading.



31. Elizabeth Woodhead Nutting.(2014) Morisco Survival, Conversion, and Migration in the early Modern Mediterranean1492-1659 .Austin: The University of Texas at Austin.
32. Fernandez Nieva J.(2015) El enfrentamiento entre moriscos y cristianos viejos .
33. G.J Toomer.(1996). Eastern Wisdom and Learning: The Study of Arabic in Seventeenth-Century England .Oxford: Oxford University.
34. Gilbert Claire.(2014) The Politics of Language in the Western Mediterranean .Los Angeles : University California.
35. Hamilton A.(2016). Isaac Casaubon the Arabist: Video Longum Esse iter .Journal of the Warburg and Courtauld the Institutes.
36. Jacques Waardenburg.(1999). Muslim Perceptions of Other Religions: A historical Survey .United Kingdom: Oxford university press.
37. laila hashem EL-sayed.(2016) discourses on emotion: communities, styles, slaves in erly modern mediterranean travel books three case studies .berlin: university of kent.
38. Reinhold Kontzi.(1996). Romania Arabica .Narr: Gunter Narr Verlag Tübingen.
39. Tan Loop.(2017). The Teaching and Learning of arabic in Early Modern Europe .Boston: Brill.

Al-Bibliography

1. Ortiz, Antonio Domínguez; Bernard Vincent, (2013), Tārīkh al-Mūrīskīyīn: Ḥayāt wa-Ma'sāt Aqallīyya, trans. Muḥammad Binyāya. Abū Zabī: Ḥay'at Abū Zabī li-l-Siyāḥa wa-l-Thaqāfa.
2. Badawī, 'Abd al-Raḥmān, (1993), Mawsū'at al-Mustashriqīn, 3rd ed. Bayrūt: Dār al-'Ilm li-l-Malāyīn.
3. al-Tamīmī, 'Abd al-Jalīl, (2011), Tirājidiyā Ṭard al-Mūrīskīyīn min al-Andalus wa-l-Mawāqif al-Isbāniyya wa-l-'Arabiyya wa-l-Islāmiyya minhā. Zaghwān: Mu'assasat al-Tamīmī li-l-Baḥṭh al-'Ilmī wa-l-Ma'lūmāt.
4. al-Tamīmī, 'Abd al-Jalīl, (1991), Taṭbīq al-Mūrīskīyīn al-Andalusiyyīn li-l-Sha'a'ir al-Islāmiyya (1492–1609). Zaghwān: Markaz al-Dirāsāt wa-l-Buḥūth al-'Uthmāniyya al-Mūrīskīyya wa-l-Tawthīq wa-l-Ma'lūmāt.
5. al-Ḥijrī, Aḥmad Qāsim, (2015), Nāṣir al-Dīn 'alā al-Qawm al-Kāfirīn (al-Nuskha al-Miṣriyya). Bayrūt: al-Mu'assasa al-'Arabiyya li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr.
6. al-Ḥijrī, Aḥmad Qāsim, (2019), Nāṣir al-Dīn 'alā al-Qawm al-Kāfirīn. Ṭiṭwān: al-Jam'iyya al-Maghribiyya li-Dirāsāt al-Andalusiyya.



7. al-Ḥaḡḡī, ‘Abd al-Raḥmān ‘Alī, (2003), Hijrat ‘Ulamā’ al-Andalus ‘inda Suqūṭ Gharnāṭa: Zūrūfuhā wa-Āthāruhā. Abū Ḥabīb: al-Majma‘ al-Thaqāfi.
8. al-Ḥusaynāwī, Maḥmūd ‘Āshūr, (2013), Mawqif al-Dawla al-Sa‘diyya min Muslimī al-Andalus ba‘da Suqūṭ Gharnāṭa (916–1069H / 1510–1659M). Dhī Qār: Jāmi‘at Dhī Qār.
9. al-Khaṭīb, Rashā, (2018), Aḥmad ibn Qāsim al-Ḥijrī “Afūqāy”. Bayrūt: al-Mu‘assasa al-‘Arabiyya li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr.
10. Dūbālī, Khadīja, (2021), Ḥarakat al-Jadal al-Dīnī fī Isbāniyā al-Kāthūlīkiyya khilāl al-Qarnayn 16 wa-17, Majallat al-‘Ibar li-l-Dirāsāt al-Tārīkhiyya wa-l-Athariyya fī Shamāl Ifrīqiyyā, Jāmi‘at Tiyyart, Jazā’ir, vol. 4, no. 2, pp. 525–535.
11. De Epalza, Mikel, (2005), al-Mūrīskīyūn fī Isbāniyā wa-fī al-Manfā. al-Qāhira: al-Majlis al-‘Alā li-l-Thaqāfa.
12. Razzūq, Muḥammad, (2011), Isbāniyā bi-‘Uyūn al-Shihāb al-Ḥijrī, Majallat Kulīyyat al-Ādāb wa-l-‘Ulūm al-Insāniyya Bin M’sīk, al-Dār al-Bayḍā’: Jāmi‘at al-Ḥasan al-Thānī, pp. 111–114.
13. ———, (1987), al-Andalusiyyūn wa-Hijrātuhum ilā al-Maghrib khilāl al-Qarnayn 16–17. al-Ribāt: Kulīyyat al-Ādāb wa-l-‘Ulūm al-Insāniyya.
14. al-Riyāsh, Ibrāhīm Aḥmad ibn Ghānim, (2013), al-‘Izz wa-l-Rif‘a wa-l-Manāfi‘ li-l-Mujāhidīn fī Sabīl Allāh bi-l-Madāfi‘. Abū Ḥabīb: Dār al-Kutub al-Waṭaniyya.
15. al-Zarkalī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd..., (2002), al-A‘lām: Qāmūs Tarājīm li-Ashhar al-Rijāl wa-l-Nisā’ min al-‘Arab wa-l-Musta‘ribīn wa-l-Mustashriqīn. Bayrūt: Dār al-‘Ilm li-l-Malāyīn.
16. Sā‘if, ‘Abd Allāh ‘Abd al-Raḥmān, (1991), Taqdīm Kitāb Nāṣir al-Dīn ‘alā al-Qawm al-Kāfirīn aw Mukhtaṣar Riḥlat Shihāb ilā Liqā’ al-Aḥbāb li-l-Faqīh Aḥmad ibn Qāsim al-Ḥijrī al-Andalusī Afūqāy, Majallat Abḥāth, no. 27, pp. 105–110.
17. al-Sa‘īdī, Aḥmad, (2014), Riḥlat Nāṣir al-Dīn ‘alā al-Qawm al-Kāfirīn wa-Taḥqīquhā: Naqd wa-Istidrāk min Nuskha Muktaṣafa Ḥadīthan, Majallat Ma‘had al-Makhtūṭāt al-‘Arabiyya, Tunis, vol. 85, pp. 281–282.
18. al-Sufyānī, Hudā Jubayr, (2020), Aḥmad ibn Qāsim al-Ḥijrī [d. after 1051H/1641] wa-Riḥlatuhu Maṣdar li-l-Awḍā’ al-‘Ilmiyya li-l-Mūrīskīyīn, Ḥawliyat Kulīyyat al-Lugha al-‘Arabiyya bi-l-Zaqāzīq, Jāmi‘at al-Azhar, Ghazza, vol. 40, no. 2, pp. 612–618.
19. Shāshiya, Ḥussām al-Dīn, (2021), Ḥusn / Sū’ al-Istiqbāl: al-Duwal wa-l-Mujtama‘āt al-Mutawassiṭiyya fī Muwājahat Ṭard al-Mūrīskīyīn



- khilāl al-Qarn al-Sābi‘ ‘Ashar al-Mīlādī, in: Ben Khalifa, Ridh, Migrations Méditerranéennes du Moyen Âge à nos Jours: Institutions et Liens Sociaux, Établissement Boujmil d'Édition et de Publicité, Nirvana.
20. Ṭa‘ām, Shāmikha, (2013), al-Takhayyul al-Tārīkhī fī al-Riwāya al-Maghāribiyya (al-Jazā‘ir, al-Maghrib, Tūnis). al-Jazā‘ir: Jāmi‘at Wahrān.
21. ‘Abd al-Raḥīm, ‘Abd al-Raḥīm ‘Abd al-Raḥmān, (1984), al-Muhajjarūn al-Andalusiyyūn min Khilāl Wathā‘iq Maḥkamat al-Iskandariyya al-Shar‘iyya fī al-‘Aṣr al-‘Uthmānī fī Miṣr, Majallat al-Dāra, Dārat al-Malik ‘Abd al-‘Azīz, vol. 10, no. 1, pp. 199–200.
22. ‘Anān, Muḥammad ‘Abd Allāh, (1971), Taṣtūr – Balad al-Mūriskīyīn al-Andalusiyyīn, Majallat al-‘Arabī, al-Majlis al-Waṭanī li-l-Thaqāfa wa-l-Funūn wa-l-Ādāb, al-Kuwayt, no. 156, pp. 141–145.
23. Qashtīlū, Muḥammad, (2001), Ḥayāt al-Mūriskūs al-Akhīra bi-Isbāniyā wa-Dawruhum Khārijahā. Ṭiṭwān: Maṭābi‘ al-Shaykh.
24. Marzūq, Muḥammad, (1987), al-Andalusiyyūn wa-Hijrātuhum ilā al-Maghrib khilāl al-Qarnayn 16–17M, Unpublished PhD thesis in History, Kulīyyat al-Ādāb wa-l-‘Ulūm al-Insāniyya, al-Ribāṭ.
25. Mas‘ūd, Ayyūb, (2020), Tadākhul al-Ajnās fī Adab al-Riḥla. Bayrūt: al-Mu‘assasa al-‘Arabiyya li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr.
26. al-Maqrī, Aḥmad Muḥammad (1041H/1632M), (1968), Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb wa-Dhikr Wazīrihā Lisān al-Dīn ibn al-Khaṭīb. Bayrūt: Dār Ṣādir.
27. al-Nāṣirī, Shihāb al-Dīn Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn Khālid ibn Muḥammad (d. 1315H/1897), (1997), al-Istiḳṣā li-Akḥbār Duwal al-Maghrib al-Aqṣā. al-Dār al-Baydā’: Dār al-Kitāb.
28. al-Manūnī, Muḥammad, (1964), Zāhira Ta‘rībiyya fī al-Maghrib Ayyām al-Dawla al-Sa‘diyya, Majallat al-Ma‘had al-Miṣrī li-l-Dirāsāt al-Islāmiyya fī Madrid, vol. 11, no. 12, pp. 79–89.
29. Hilālī, al-Ḥanafī, (2015), al-Mūriskīyūn al-Andalusiyyūn fī Isbāniyā min Khilāl Riḥlatay al-Shihāb al-Ḥijrī wa-l-Wazīr al-Gḥassānī, Majallat al-Ḥiwār al-Mutawassiṭī, Jāmi‘at Jilālī Liyābis Sīdī Bal‘abbās, Ma‘kabar al-Buḥūth wa-l-Dirāsāt al-Istishrāqiyya fī Ḥaḍārat al-Maghrib al-Islāmī, vol. 2, no. 6, pp.